

متاهة الجسد

واردات الوقت

فصل

[1]

ليكن ...

سأتبع الضوء إلى عتمة أخرى وأقيم في الفضاء صلواتي
إلى أن يحل الليل رموزه في غابة النهار
ويحل النهار شفرته على مغاليق الليل..
سأتبع امرأة ما إلى بلد ما وأكون بمثابة الشكل للمعنى
سأدخل الحديقة أولاً

وأقف على سدررة الرأس وأتنفس ما بين النهدين هواءً صافياً
وأقيم بناءً ما بين النهد وشريرة النهد
وأؤذن للصلاة من غسق الليل إلى مطلع الفجر .

فصل

[2]

هل يغسل النهار قدميه في جسد الليل
أم يتمدد الليل في حديقة النهار ويظل هكذا نائماً عرياناً
النهار يقول لليل: أنت قبضة في يميني
سأشرق عليك بنوافذي
وأفتح عينيك المغمضتين وأرتب أمراً ما
وأجعل كل جزء مني
يقف على حقيقة كل ذرة منك
هنا سأبتكر لك كلاماً ما يليق بك
فابتكر لي كلاماً

يليق بي

وأخرج من معنك إلى فوضاي
ومن فوضاك إلى معناني..

فصل

[3]

هل أحمل في يدي مشكاة وأقف على بوابات جسمك
وسراديك وأنسلل من بين عساكر وأعضائك عساي
أحيط بك؟!
النهار يقول لليل: لماذا يقف الخيط الأبيض قدام الخيط الأسود
وينزله؟ ولماذا اختلط اللونان؟
أأنت معنى
وأنا معنى؟
ما هو معنك إذن..
وما هو معناني؟
الليل يقول للنهار: أنا من طينة وأنت من طينة أخرى
أيها النهار: سأقف على قيد ذراع منك وأنازلك وأفصح عن
هيولاك
إذن..

أعدك بالمحو كما تعدني بالصحو
أنا سكرك وأنت إفاقتي أيها النهار
سأورق على تخوم شمسك
أنت من رعاياي
كما تعدني من أتباعك...

فصل

[4]

ليكن...
سأتبع الضوء إلى عتمة أخرى
وأتابع امرأة ما إلى بلد ما..
وأكشف عن حصي الرغبة على حصير الجسد وأوسد الشهوة
مفاصل النساء
وأفك كل حرف من حروف الأبجدية بقبيلة منهن وأقيم بين
كل امرأة وجسمها أعراساً

وحقلاً من الرجال يزرعون دأباً فيحصدون ويحرقون من أول
الليل إلى آخر النهار عندئذ
سأقول للمرأة هيئي عرشك لي
فتقول: بخ.. بخ.. هييت لك ما أجملك!!

فصل

[5]

أنا أول الحرف
وأنت آخر الكلام..
أنا أول الضوء وأنت آخر الظلمة
أنا الأبد والأزل وأنت اللحظة المجزوءة لا غير
أنا السدرة وأنت الهاوية
دعني أكشفك لي وأكشف لك عنك فأكشف أمامي أنا المعنى
وأنت شكل المعنى
قلت أستخلص من النساء واحدة وأزين بها عرشي فلا أبالي

بالليل

ولا أعبأ بالنهار

حيث الحياة رحلة دائمة إلى الموت الدائم
والموت رحلة دائمة إلى الحياة الدائمة
هي مركز الدائرة
وأنا نقطة على المحيط..

هي المجرة السابحة في الفضاء الغويط وأنا الجزئيء الغفل
هي رمز الصيرورة
وأنا زمن التلاشي.

فصل

[6]

هناك..

حيث يرقد الأزل في بحر الهيولى والكائنات بلا اسم ولا رسم

وبلا شبح

أو صورة

حيث كل شيء كأن لم يكن
هو العدم في مجرة اللانهاية إذن... آ... آ... آ
حيث الكاف خارجة لتوها من الظلمات
ومتوجة بالإرادة والرغبة
حيث الزمن لا شيء
والمكان لامرئيات.
سأقول للريح أن تنكش البيوت والشوارع وتطفئ المصابيح
وسأحترق بالرماد يوماً ما
وأصلى على جثمانى صلاة دائمة حتى أرى القمر بازغاً
فأقول له:

أأنت هي؟؟

فصل

[7]

عينها بحيرة ساكنة
وجسمها براكين...
صدرها مجرة مكشوفة ونهداها أغادير
جذعها نخلة ضارية وبطنها فتوحات
وما بين النهد وعريشة النهد تكون سماوات وأرض برمل وأشواك
وعلى ساحل النهد تكون غابات بها الوحوش حشرت
ومن الأحراش ما لا عين رأت ولا أذن سمعت
وعلى جزيرة الجسد ترتبك الذاكرة وبحث الزمن عن اكتماله وفوضاه
هل يكشف الزبد عن سره
وينقبض البحر إلى نقطة في الدائرة؟
أرى شجرة زاكية تخرج من فوضى الجسد وجذع المرأة فأظلل
بها وأكلل بها وقتي
إلى أن تُريَّني من الحال والكلام ما أخوض به لجة الجسد ومحار الحرف
وأنجو من الموت فلا أطفو إلا على ساحل الجسد أو أموت ولا
أخرج منه إلا إليه

عندئذ

أشرق بنور شمسي على بحيرة الجسد الخضراء وأنهجى حروفه
وأفك مغاليقه وطلاسمه .

فصل

[8]

ألمس حصيرة الجسد فأجد فضاءً شاسعاً
يفصح الجسد عن تأملاته وأقاويله
فأنفض غبار النوم وطراوة الأعضاء وأقعد تحت شجرة الجسد
وأرتكز على منعطفاته

ودروبه

وأفتح باباً ضيقاً حَرَجاً لا يفضي إلا إليه
هو بمثابة الألف
وأنا بمثابة الياء
هو بمثابة الحركة
وأنا بمثابة السكون ..

كيف أستعين على الجسد بالمجاهدة والكتمان حتى يكشف لي
عن سماواته

وعدد نجومه وحصى طرائفه

للجسد / إذن / أبواب سبعة وسماوات غير مأهولة ولا دانية
وما بين سماء الجسد والجسد مثلما بين الموت والحياة من حقيقة
ومعنى .

فصل

[9]

أنكش الجسد بحصى الجسد

فيتذرع بحركاته وسكناته وأقف أمام بوابة الجسد فارغاً وأنكئ
على جسمي بالصبر وعلى أعضائي بالبلوى وعليها بالمرأوغة
والتسليم حتى أقبض بيدي على شيء منه
هل هي بداية المحنة أم محنة البداية ؟

سأشقى إذن على خيانات المعنى وأرتكب خطيئة المجاز وأتوقف
قدام حبائل الصورة ودهاليز الاستعارة
وأعود صახباً
أدفع الزمن أمامي كالعجل المقدس
وأسوقه للذبح عصر كل يوم
وأخلص من بقية الرطوبة الأولى
وأحبس التخيلات في قفص النيران
وأدخل جزيرة الجسد متوجاً بالوقت
والإقامة.

فصل

[10]

سأبتكر خبر اللغة
وأكتب عن تفاصيل الجسد وأقاليمه
سوف أخرج من فضاء الفاصلة إلى النقطة ومن النقطة إلى زمن
الفاصلة
ولا خوف لديّ على المعنى
سوف أعبر تحت ركام العالم وممياواته وأتوكأ على حضارته
المنتفخة ومخاوفه
طوفاني يغلب كل شيء إذن
فلا أسير إلا وفق هواء الرغبة وفوق تخوم المعرفة
يحلولي أن أجد فراغي في الفراغ فأدشنه بخرابي وانكساراتي
يحلولي أن أتحدث إلى اللغة دون كلمات
وأربيها تحت سقف بيتي كالقنفاذ
الهواء جزيرة صاخبة من عالمي الذكورة والأنوثة
وفيه يتمرأى ميثاق عالم الذر وهيلواه بين كينونة الكاف
وثبوت النون
حيث للكمون وقت وللظهور وقت آخر...
الصورة تشكل المعنى
والمعنى هو قلب الصورة وجوهرها بلا منازع.

فصل

[11]

قلت: سأخذ سبيلي في البحر سرباً ولا أمكث إلا في الحرف
فلا أخفى إلا بين الرسم والاسم حيث أجدي قائماً أبحر أمام
جسد امرأة واحدة
إذن سأعود للوراء
إلى الأبدية
حيث كل شيء فارغ إلا من معناه
إذن
سأخترق تخوم الزمن وأسحب كرسي إلى الوراء وأنزل إلى بئر
الأبدية الفارغ وأنزع عن الغلاف قشرة الموت والحياة
وأفتش لي عن صورة هناك...!!

فصل

[12]

واقف أنا / أتحرك حركة طولية وعرضية في نفس الوقت / بلا رسم
ولا كثافة
أجمع ما أشاء من المعرفة وأتحرك حركة هلامية تقطع الأبد
والأزل في لحظة
وأتنفس هواء الحرية الأولى ولا ذاكرة لي
تفتح السماوات أمامي فألفها بشريط أخضر وأخرج من
الناحية الأخرى
حيث الفراغ الغويط فأدلي ساقِي
وأدحرج الأرض بقدمي وأتعلق في قصبة الهواء العالقة.

فصل

[13]

إنها المرأة
تنزل بي من جثث الوقت إلى أرائك الخلوة وليونة العشب
وارتطام الحكايات
إلى حيث يفضي النوم بي عند حدود المعرفة وفناء السوى

أكتب عن قصب الجسد وليمون الرغبة وحشائش العرق النازل
على سلم الظهر
ومن سلم الظهر إلى بقية الأطراف وأنسجة الأجنحة
أكتب عن توهجات الأشعة وزوال ما يسمى بالليل في دائرة النهار
واختفاء الشمس والقمر عند تلاقي الجسد بالجسد
وعلى غلاف الرغبة أفك طلاس سحري وأنصب خيام سحري
وأنتظر أوقاتي
وأقيم أبنتي إذ تتداعى .

فصل

[14]

أكتب عن ملازمة الخلية للخلية
واكتشاف الحكايات بما لها عند كل ذكر وأنثى من تفاوت
وأشتعل بفصوص العشب وعناقيد الرغبة الخبيثة المحترمة عند كل طرفٍ
وتحت كل ثنية أهز كلماتي فينفرط عقد لساني ويشي بي
أمام كل رجل وامرأة وعند كل صاحب طريقة وفي كل مقام
وعلى امتداد كل زاوية أقيم صلواتي ونسكي وأقول: هنا
محياتي ومماتي
وعلى مشارف النشوة لا أفكر في النوم ولا أعبأ باليقظة
فقط أكون هكذا:

عينان زائغتان ولا تستقران على شيء
وما بين سماء الإبط والإبط تقوم مدائن الأولين والآخرين بما
فيها من نمارق مصفوفة
وأحجار كريمة
وأنهار من غسل مصفى هو لذة للشاربين
فلا يدخلها إلا إياي .

فصل

[15]

أكتب عن تلاشي الذاكرة وفيوض الأشياء
عند فيض كل رجل على امرأة بعينها وفيض كل امرأة بعينها

على سلالة بأكملها
أكتب عن ملامسة الليل للنهار
وملامسة النهار لليل
حتى يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود وأنا قائم بمشاغلي
أكتب عن انسلاخ البدن في أقصى البدن
وتكاثر الأرض على شفا الجسد
وأبحث عن امرأة أخرى
بها ما في الأولين والآخرين من تفاوت هو المعنى
ومن معنى هو الأزل والأبد
ولا فرق لدي إذ يختصمون فيها وأنا أسمع وأرى...!!

فصل

[16]

أقبض بيدي على غصن سماء نازفة وأتوجني شيخ الوقت
أتشبت في دائرة الرؤيا وأداوم معراجي صوب مقامات الحال
الأمس غابة أشجار من مرجان
وأفض بكاراة أنهار من ياقوت
وأفوض نفسي ملكاً للآلهة الصغرى
هذي المرأة صاعدة من أبخرة الروح
إلى جنات الأنس
شفتها آخر ما أخرجت الأرض من الضوء
عينها لؤلؤتان
اختبأ الوقت بداخل إحداها
والأخرى جمعت ما في الأرض من المأوى
كيف أرتب أشجاري في طاولة الأمس
وحالي ممتد عبر الوقت
وكيف أمد جسوري لسماء نازفة..
وأداوم معراجي صوب مقامات الحال؟

فصل

[17]

إنها الذاكرة

تشعل ما يتبقى من الليل في غابة النهار
وتشعل ما يتبقى من النهار في غابة الليل وهو جس الأمهات
ها هي ذي عربات اللذة آتية من خلف بوابة الجسد
وعليها من الصهد وكلام النهار ركام
ونتوءات
لتنصب توهجاتها تحت خيمة الجسد وعلى امتداد أراضيه
ومشارف سماواته
وتقيم تفرعاتها
واحتفالاتها
فوق شجرة وحيدة تسمى الرغبة
وهي مواطن الألوهة
ومنابت الشمس ومنازل القمر.

فصل

[18]

كيف أكتب تواريخ الجسد وأضيء به شجر النهار
وأزرع بين كل جسد وجسد
جزيرة
من الدم المسكون بالتنزلات الليلية والوصل
وأصلي صلوات لا أول لها ولا آخر
ثم أسجد سجدة طويلة بهية فلا أقوم بعدها أبداً حتى أرى
الجسد بازغاً
إنها الذاكرة:
طوفي - إذن - أيتها المراكب الراسية عند خليجان الجسد واعبري
حاجز الوقت
وتطوحات القيام والقعود إلى أن أخرج من برزخ النوم

إلى عتبة اليقظة

واهدئي .

فصل

[19]

اهدئي عند خليج يقال له القيامة

وأمام بوابة واسعة

يقال عنها الأرض

كي أقول للجسد: أنت سيدي

وللأرض:

ازحزي قليلاً فسوف أهبط عليك بأسمائي وشاراتي

إلى أن تقوم الروح بازغة

وبها يعرف الليل طعم النهار ويعرف النهار أنوثة الليل

فأهتف:

أيها الجسد: أين حدود السماوات والأرض

أيتها الأرض: ما هي حدود السيد الجسد؟!

يعرف الليل شكل الأمكنة ومخابئ النهار

ويعرف النهار خطى الليل

فهل يعرف الجسد شكل توهجاته وعدد أوديته في الليل

والنهار

إنها الذاكرة.

فصل

[20]

ليكن..

سأتبع الضوء إلى عتمة أخرى

وأمد يدي في هوة الجسد وأقترب من قارورة الروح

ليكن...

سأفتش في أرض سبأ عن امرأة أخرى تسمى بلقيس

وأسأل عن (وضاح)

(وديك الجن) وعن هدهد سليمان

وأقرب من حقيقة امرأة ما وأسأل عن صنوبرة الجسد
وزهر النهدين وياقوتة الإبط
واكتناز الصدر على أبهة الضوء.

فصل

[21]

كيف يكتب الجسد رموزه ويطلق حشائشه ويدون ما له من أسماء
على مرايا جسد آخر؟!
تخرج الشمس في الصباح لامعة ومتلصصة من تحت سماء الإبطين
وتتجول بحرية في حديقة الجسد النائم
وتفرز رغاءاتها على شعر امرأة نائمة
في حديقة رجل نائم
عند تلاقى الليل والنهار على خريطة الجسد
كيف تكتب الشمس عن زوال الليل في دائرة النهار
وتؤرخ لانكسار النهار
على صفحة الليل؟
يهبط الليل من شرفة في الفضاء
ويتوكأ على عدد من النجوم حيث السماء شآبيب من الضوء
والغيوم قطعان ترعى في اللانهاية
والزمن مرايا ونواميس!!
آه
ليكن...
سأتبع الضوء إلى عتمة أخرى
وأتبع امرأة ما إلى بلد ما.

مقام الجسد

فصل

[1]

إنه الجسد

يشرح لي طريقة قيامته
وعدد صلواته في اليوم والليلة وأهيم له نفسي
والأرض
تنفج عن أيقونة الجسد
بلا منازع أو قوة
كيف أعلن عن قيامة أخيرة وأصطفي من النار لغة
وحيدة

لتكون مقامي
أيها الجسد:
أخرج عليّ من مكن ضيق حرج
وتصبب عليّ
كالواقيت
وتثبت بجنازاتي
وقل لي: أنا الأول والآخر والظاهر والباطن
ولا تقل لي:
أنا أنت أو أنت أنا
فبيننا علامة
ومواثيق على ما نخفي وما نعلن.

فصل

[2]

أيها الجسد:
كيف أصطف في حواريك وأصطفيك فلا تخرج عليّ الوحوش
بغته

في وضح النهار
والناس نيام
وأنتظر مقدم الموت فلا أخاف
وأخلع عليك من أسمائي وشاراتي
ما تنوء بحمله
وكشفه

وأتوكأ على مفاتيحك لأعرف ما بغرفك من هدايا ونواميس؟!

عندئذ

أقترح عليك عدد صلواتي في اليوم والليلة

ولا أبالي

أأنت عارف بها

وطاقتي لديك مثل حبة من خردل وربما أقل

وأتشح بك في كل واد تقيم فيه

ضيفَ سفرٍ

ورفيقَ وحشة

وصاحبَ مقام.

فصل

[3]

هل وردة أنت يا سيدي الجسد؟!

أم طائر يلتف حول رقبتني وعنقي؟!

أتمدد بين ذراعيك كالجوهرة الزائفة العتيقة

ولا

أفتش عن رقدة لي

وأحتسي شراب النيين والفقراء

وأفر إليك كالضحية.

فصل

[4]

لا تخرج عليَّ أيها الجسد

فجأة

وحولك الحرس الطائف في المدينة يسعى ويفتش عن كل غيابة

وينقب عن كل صاحب جب

أنا الخائف المترقب كل جنودك

وعساكرك

وأقطارك ملآنة بالعبيد والجوعى

من كل فج عميقٍ

وعلى كل شكلٍ ولونٍ
ومن كل جنسٍ
وديانةٍ
فكن رفيقاً بي
أليست لديك رغبة في البوح والشكاية لمرة واحدة
أليس لي عليك من سلطان!!
توضأً بجاني!!
وصلّ عليّ صلاة مودع
واحفر - لي - حفرة عميقة عرضها السماوات والأرض كي
أتمدد فيها
وتتسع لرقدي
ولأوقاتي
ولأنام نومة بهية بهيجة فلا أبحث عن قيامة ثانية
ولا أحصي عدد قتلاك
وعميق هاويتي.

فصل

[5]

أأنت فرح بهذا أيها الجسد ومأخوذُ
فلا يُخاف عليك
أو يُغار منك؟!
إذن
سأناولك أوجاعي
فناولني إذن خياناتك
ولا تخش عليّ من الغرق والفجعة
أيها الجسد
كيف أصعد إليك وأنزل
وأصطاد سمكك الأخضر المتوحش بالشص
ولا أنتبه إلى الغرقى
وهم كثيرون

أيها الجسد
كيف أفك رموزك
وأحصي عدد كلماتك وكمالاتك
أيها الغامق المصقول بالوجع والخينات
أأنت غامض مثل الورد
ومفتوح كالهواية؟!

مقام الورد

فصل

[1]

الورد طائشة وبغي
أصحابها
من حيث اختلف الندمان - إلى طاولتي - فترد السهم المقذوف
إليّ
وأودعها سري فتذيع السر
وتكشف عن عريّ قدام خفافيش الروح
فهل تملك أن تكشف عن سوءة بدني المفضوح
أمام غوايتها
وتعود فترتاح عليّ!!
الورد طائشة وبغي
أيتها الورد
كيف أعلمك الأسماء
وأنزل خلفك دهليز الموت الأرضي
وأصعد نحوك مثل الفرع النائم
خلف مقاصير الماء
فأنتبه إليك ولا
تنبيهين إليّ
هل وردك قتلي

وحروفك آونة أخرى
وسماؤك
طاولة للأغراب
وفي أرضك فرسان يقتتلون إذا جن الليل عليك
وحين يفرون يغيرون علي؟!
وأنت كما أنت تروحين وتغدين
وفي آخر منعطفات - الروح - تقومين هنالك
مشرقة
ومفارقة
مثل نبي.
فصل

[2]

أيتها الوردة
من علمك الأسماء
وأعطاك اللون السري
وهياك
وسواك
إلى أن يرث الله الأرض
على طاولة الروح
لماذا أيتها الوردة
أنكشف عليك
ولا تنفتحين علي؟

فصل

[3]

أيتها الوردة
حين أتيناك سألنا صاحبة الحقل
هل عندك ورد حتى نتملاه
أو نحرسه
أو حتى نعننى بسقايته

فأجابت صاحبة الحقل
وردي لا يصلح للندمان ولا ينكشف
وردي نعسان بين غلائله
لا يمكن أن تلمسه كف!
قلنا يا صاحبة الحقل
ائتني واحدة حتى نرعاها بسقايتنا
فأشارت نحو القائمة هناك على طرف الغابة
عنق من عاج
أوراق من ماء أجاج
وخيوط من ضوء غماز وهاج
ورحيق من زبد يتصبب في كأس من زبد أخاذ رجراج
وسماء تتدلى ناحية الوردة
فتحاول أن تلمسها
لكن ذؤابتها
تتنضد عن شمس متبخرة
في نهر غناج
محتاج
قلنا يا صاحبة الحقل
الوردة قائمة في أقصى الحقل وها نحن نعاني
من جرح الوردة
هل يمكن للوردة أن تنجرح على شريان الوردة
حتى نحصى قتلاها أو نلمسها؟!
قالت صاحبة الحقل
الوردة شوك
والوردة شوق
الوردة توق
والوردة فت
وأنا
أنا وردي

لا يصلح لمصاحبة الندمان ولا ينكشف؟
فهل يمكن أن تلمسه كف؟!

موقف العشق

أ- قبض

[1]

امرأة غازلت ثوبها الورد ثم استوت فوق سجادة
من جسوم الزنابق
والقز

بعض الأيائل - ترعى فرادى - بقمصان أشجارها
هل لها من عشيق سواي بهذي المدينة؟
من يرسل الطير - محتبساً - في انطلاق الرياح
السوانح

ثم يعود وصفاته كالغزالات
يرتعن في البید
والجبل الصائف المتخضر
قرب ذراها

وما هالني بعض هذا الذي هالها
اتخذت لها شاهداً من مقامات موتي
وصلبان بعض العذارى
وأكملت أركان وقتي بأسمائها

ثم قلت

لعل الذي دلّه دلّه..!!

دمي باسط جرحه فوق أعجازها أو سلا لاتها
مرة

كاد يخذعني فائقبضت كحرفين مشتبكين
ونمت طويلاً على العتبات الصقلات ثم بكيت
أذى دارها؟؟ واقتربنا؟؟

فصل

[2]

تلني للجبين هواي فصحت وصاحت
خيول الرمال الظميات جاءت وأرخت أعتتها قرب أعتابنا
فاشربوا
وامكثوا في المضارب بعض العشيات أو فاشعلوا نارها
خلفها كان سهل من الماء يعلو
وكنت رقدت طويلاً على بابها
فمن ذا الذي جاءها والنجوم انطفت
وكانت تغلق أبوابها
قلت: موتي وشيك بأعتابها
دلني صوت طير يطير قريباً على مرقد من حرير وخز
أكنت انتظرت طويلاً؟
ونقر خفيف على الباب من؟!
قلت: هيا افتحوا وامنحوا للغريب المسافر بعضاً من الزاد
ما زادني بعض هذا الذي زادها
قلت:
أحمل صرة موتي وأرحل
علّ الذي صده صدها.

فصل

[3]

كان طير يحلق فوقي ويهوي قليلاً ليمسح فوق جناحي
طيور من الضوء خضر تتابعنه
فمن ذا الذي دلها؟
ربما طافها طائف واختفى
فاختفت كالنجوم المغيرات هذي اليواقيت
من ينقذ العير رحلتها أو شكت
وحادى القبيلة قد خاله الخيل أو خانها

- خله يستبين مواقعه -

فالشعاب مسالكها أدلجت

والمهاري السلالات فرت كخطفة برق

وهذي الأيائل ضلت طرائقها بين شعث الجبال

وصفر الشמוש انتهى وقتها والرعاء انتهوا

قرب ورد شحيح

وهذي الغزالات ضامرة

نالها بعض هذا الذي نالها

ثم كنت هناك إلى سدرة لم ير القلب فيها سوى ذاته

فانحرفت يميناً وحاولت أنظر

لم أستبن أي شيء وحاولت أسمع

في الأذن وقر

ترى ابيضت العين مما بها أو رأت؟

ما الذي أشعل الرأس شيباً؟

فصل

[4]

وكنت انحرفت يساراً

صرير الحروف أصر

وأصمي الصِّبا والصِّبا

ثم غشي عليّ

أجرني

- سلام عليك وحين ولدت وحين تموت وحين ستبعث حياً -

وراودني القلب عما به

فاستجرت بأترابها وما جارني أي شيء

رأيت دمي سائلاً فوق صدري

وخصبت أطرافها

كم تبقى من الموت

سهماً رميت وما قد رميت أصادت سهامي أم صادها؟

فصل

[5]

قلت: أرحل خلف اليمانيـنَ
ركب.. وعيس بأطراف أجفانها
أو رمتني بلحظ من النار كالمهل يشوي الفؤاد ويترك فوق الأعنة
آثارها
ليتها
من لها في المدينة غيري؟
وأدلجت في الليل
تحتي يئز الحصى
والخطى شابها بعض هذا الذي شابها
ثم طال السرى والثرى - كالثرى -
وزالت عن الحي بعض النجوم
وأوشك ليل الشها في السها
ثم همت بنا
وهممنا بها...!!
أو كان الذي همني همها؟؟

فصل

[6]

ربما
ويا صاحبي: ارفقا... أو قفا.. وابكيا.. واشفقا
وانزلا عند ربع قديمٍ
وقولا لها
أقيمي هنالك بعض الهنيئات
هذي الديار بها ما بها
فالنوى
والنياق
وخضر الخيام الكثيرات من ذا يقلع أوتادها؟
قلت

يمم

- تيممت - ...

حتى استوت في الظهيرة أقمارها.

فصل

[7]

ثم كانت شقائقها كالدهان

استرحنا قليلاً من السير فوق التراب

وصعدنا نحوها خطوها

أطلت مع الغيم عين المها

كان قلبي كليماً

وليلي كليماً

وخطوي كليماً

أكنت كليماً - بساحاتها - ثم كانت كذاك من الوجد كلمي

أهذي سليمي تشقشق؟ أم ذي مها كالمها؟

هل ستفتح؟ أم ستغلق أبوابها - دونها - ؟

كان قلبي لها.

فصل

[8]

ثم أذن في العير

هبّت رياح على الأرض صفر وأشعل بعض السرى ليلها

وارتحلنا

ارتحلنا وكنت أجفف قلبي

دمي كان أحمر مثل الشقائق

هل سيقود إلى بهوها؟

يا لها

هل لها من عشيقٍ سواي بهذي المدينة؟

يا ليتها

كم تبقى من الوقت؟

ما دلني غير برق يخصف أقمارها

هل ترى برقها؟

حمحمي

أوقني قرب هذي المضارب بانث سعادُ
أهنذاً ترى أم تُرى ما دهى؟؟

ب- فيض

[1]

قطرتان

وينفصل الضوء أو يعتم الأفق شيئاً فشيئاً

ويلتحم الجسدان

على ساحل الأخضر المتوقد

والأبيض المرمرى

الذي يتكسر فوق سهول

من العاج

والآبنوس

وبحر من الحمرة المطلقة

هدأ الضوء

فانسحبي يا خيول الرماد

امسحي عنك بعض التوقد ثم اصهلي مرة

مرتين

ثلاثاً

وعشرأ

- فهل يتبين خيط الفجر الأبيض من خيط الليل الأسود

أو تصايح بعض الديكة معلنةً

عن بدء صباح

مملوءٍ شغفاً؟

فصل

[2]

كنا استرحنا قليلاً على الورد

ثم استويننا على العرش
فوق الأرائك معقودة بالنجيمات
وانفلق البرق من فوقنا خصلات من الضوء
هل تستريح التويجات فوق أسرة أجسادنا لغة تستقر على
صدفات المحار
نخيلاً
وزيتونة
وحدائق غلباً؟
أهذي الفرشات وعل يطارد وعلاً
ويربطه في خيوط من القز واللون
سرب من البقر الأبيض المتوحش ينحل قرب العشيات آنية
من زجاج
- ولؤلؤ منثور -

على جبل شاهق من زهور وماء؟؟

فصل

[3]

من يشعل النار فوق خرائط أجسادنا زبدًا يتطاير فوق حدائق
أجسادنا
خمرة
تتقطر أو تتعصّر؟
هذي الفراشات - جامحة - تتعقب بعض الأيائل
وهي تفر إلى السهل
- مفجوعة -

تتربص بالغور والظل في الشمس
هل تتنكر للرمال ألوانه؟

فصل

[4]

حداء

آ...آه... يا قاصرات الطرفِ ويا ذوات الأكمام...!!

اقتربن دمي يحترق
واغتسلن أمامي عرايا
ولا يحجبكن عني إنس ولا جان
لا صلاة..
ولا حياة
لا فلاة...
ولا موت
يا قاصرات الطرف
ويا ذوات الأكمام
اجعلنني أتمتع منكن بالغناء
وانشرن بهجة أعضائي على المنائر القديمة والقلاع العتيقة
كي تهتدي السفائن لي
وتحط طيور النوارس المجهدة على ذؤابتي
وقمم ثلوجي المشتعلة
حتى يأتي قمر أخضر - ضال - فيهتدي لي وينير ممراتي الضيقة وبدني
المعتم
ليكشفني أمامكن.
فصل
[5]
آه
فضة أصواتكن مرايا وأخاديد
خدوركن هودج للشتاء والصيف
وخموركن زينة - ومقاعد للكشف والسمع -
احجبجن إليّ
أو أصبو إليكن...!!
واملأن جراري بالماء وشفتي بالتراتيل
وقصبة صدري بالغناء وعيني بالمحبة وقلبي بالموددة والبراءة والإثم
وخلوني أطوّف بكن أو طفن حوالي.

فصل

[6]

ها ولدان مخلدون
يحملون كؤوساً من فضةٍ وأباريقَ من يواقيتَ وأساورَ من ذهبٍ
واستبرق
يجلسون على سررٍ متقابلةٍ
ونمارق خضراء
من زمرد ومرجان
وينظرون إليكن بمودة
واحتدام
افتحن لي
يكفيني مكن عناء السفر ووعثاء الطريق وطول الرحلة
وقلة الزاد
وأنتن لؤلؤ مكنون.

فصل

[7]

يا قاصراتِ الطرفِ
ويا ذواتِ الأكمامِ
دمي في رقبتيكن إن أنا مت قبل الرؤية والمشاهدة
وحضور حفلات العرس
والتتويج
والتعميد
ألا ترون دمي وقد خضب أطرافكن
وسال على شرفاتكن مرايا وأخاديد
ومقاعد للسمع والبوح
وفوق أسرتكن أزهر وأينع
وكلما سقط على الأرض اهتزت وربت
وأنتت من كل زوج بهيج؟!

فصل

[8]

آه يا قاصراتِ الطرفِ ويا ذوات الأكمام
أذن مؤذن العير - في غبش الصباح - وأنتن في خدوركن
تزوججن بدمي خدودكن
وتغتسلن به
خمس مرات في اليوم والليلة!!

فصل

[9]

الوعول تفر إلى ناصيات الجبال فتركض أو تتراكض
إذ تلمع اليرقات قريباً من الشجرات العجاف ويمتد هذا الغبار
مدى
ثم ينصهر الضوء - من فوقنا - قطرات من الماس واللؤلؤ
المتدحرج والعاج
هذي الحداثق مشغولة بالبنفسج في الصباح
حين ينازعها الطل في الليل
ها جسدي يتطاوح كالنخل من فرط خضرته
والرياح لواقع
تنفج الشمس من فوقنا وردة تستحم على زبد البحر
ينعقد البحر من تحتنا
زرققة.

فصل

[10]

قطرتان

ويلتحم الضوء شيئاً.. فشيئاً
وينفصل الجسدان
على ساحل الأخضر المتوقد
والأبيض المرمرى الذي يتكسر فوق سهول من العاج والابنوس
وبحر من الحمرة المطلقة.

أتهياً لكتابة اسمي ولا أحد يراني

فصل

[1]

أُتخذ كالأرض
وأصلي صلاة الشياطين ولا حول لي
وأقطف زهرة

رابية

فوق جسد ممتلئ

بكنوز الشهوة

ورغوة الإثم

وولائم

المحبة

ولا سواي هناك في الحضرة

وأتمشى بين كلماتي

فلا أجد أحداً يسمعي

أو يصلي عليّ؟!

فصل

[2]

قلت

أنزع عن جسمي شهوة القراءات وعن عيني

رغبة البكاء والفرح

وأتلصص مثل ياقوتة صغيرة خضراء

في خليج

أخضر

صغير

على الأسماك المتوحشة والميتة

وأتوضأ بحموضة الفجر

وصلاة الأرقاء
وأدخل في غيابة الليل والنهار
وهأنذا
أخرج للناس عاريًا
ووحيداً
وليس على جسمي ما يستر عريي
أو يسد رمقي .

فصل

[3]

قلت
إذن
أسير في الأرض
وبقيت مسيرة يومٍ ويومٍ ويومٍ
وليلةٍ
وليلةٍ
وليلةٍ
ولمّا لم أجد أحداً يكلمني أو يشير إليّ
تعثرت بنفسي
وخلوت إلى شياطيني
وقعدت تحت ظل شمسٍ
حمئةٍ
فإذا بي غارق في بحرٍ لجيٍّ
تتقاذفني الأمواجُ
وحولي الحيتانُ
والطحالب الغارقةُ
وأسماك القرش تتلاعب بأذيالها
وتتقاتل
نهمة عليّ !!

فصل

[4]

قلت

لو أنني أعرف عدد الرمل والحصى

لو أنني أعرف موج الذاكرة

لو أنني أعرف

كيف أكور الليل على النهار

وأكور النهار على الليل

إذن

لنجوت

واتخذت من هذه الأسماك

رفاقاً

لي

فصل

[5]

وبينما أنا غارق هكذا غلبني النوم فخلوت إلى شياطيني وقلت

لنفسي

كيف تنام وأنت في البحر غريق وغريب ولا منجاة لك

سوى الغرق والغياب

فكان أن ضحكت

واستغرقت في النوم.

فصل

[6]

وكان أن رأيت امرأة بهيجة وثملة

وبيضاء كالورد

وتقعد في حقل من الماس واللازورد

عن يمينها خلجان

من شمس

نائمة

وأقمار تتقاذز بحوية
وكتل من سحب أبيض متراص
يلمع في توهج وزينة
وعن يسارها طيور بيضاء وخضراء وزرقاء
فقلت لي:
ما هي حاجتك؟
وما وجهتك؟
فتلعثمت
وإذ بسحابة بيضاء تظلل المكان والزمان وتنقلني في لمح البصر
إلى سماء بعيدة
ومليئة بالنجوم والكواكب
وليس على ظهرها من أحد سواي.

فصل

[7]

فأخذت أسير ذات اليمين مرة وذات الشمال مرة لعلّي أجد
مخرجاً

فأنفذ منه إلى الأرض
وكان أن هدني الحزن واستولى عليّ التعب
فاستويت قاعداً

تحت شجرة وحيدة طولها

سبعون ألف ذراعٍ

وبها ورق كثير

كل ورقة - منها - تغطي نصف قارة

- وهي في كل الأحوال مورقة وجميلة -

وأخذت أدق على جدران السماوات والأرض

وأصفر صغيراً خرباً مجنوناً

وأخرج من جسدي

وأشرنق بالودق الأحمر والبرق

وبقايا النفايات

وأكحل عيني بذؤابات الأسئلة
والتأوهات.

فصل

[8]

كيف أعلن عن يآسي للسماء وأسترشد بنجمة ضالة
في سماء ضائعة
وأرض مراوغة؟
كيف أهين نفسي لاحتمال الفجيعة والموت
بالدوران هكذا على الأرصفة إلى الأبد؟
طعم الهواء حامض
ولا ماء عندي

لا سماء لي بالأساس لأحتمي بها من الغرق والفرق ولا أرض تحتي في الحقيقة
لأنشبت بها من الجنون والفرق
وهأنذا أشرب نقيع الوجد ومرادة الأشياء
وأحتمي من الخوف بالخوف
ومن القطيعة بالصلب والقتل
في كل آنٍ
وآن.

فصل

[9]

وجلست هكذا مقرفصاً أرتعد
وفجأة..
سمعت قرقة عظيمة وجلبة
ورأيت غباراً

يسد عين الشمس
وكان الهواء يتمايل ويسير أمامي صائحاً
فكيف أمسك به وهو يسير خلفي جشاً
جشاً

وأرؤساً مقطوعةً تتمايل وتتلوى

وتفح فحيح الحيات والعقارب
وها هي كتل الهواء البارد تحيط بي
فأتجمد كالكرة
وأتنفح كالصراصير
وألتف على نفسي وأتدحرج دحرجة خفيفة وأتذبذب كالوتر
وأغير وجهتي كالقشة
والشمس تتدحرج من بين رجلي تدحرجات هائلة
وتندفع أمامي تارة
وتارة
تندفع خلفي
وهكذا تحيط بي في توهج وظلمة وتنفلت إلى السديم
ودونما جلبة أو انفجار
والأرض تنسحب من على كرسيها
وتلتف بعباءة الزمن
وتتقدم بردانةً إليّ..!!

فصل

[10]

صاحت الأرض: أيها الأبق
أيها الخارج من بين ضلوعي ورحمي
كيف تتنكر لي ولا تفر إليّ
أما ترى
أنني في حاجة إليك
أتقشر مثل الجلد
وأتعري كالسراطين
وتسقط الأوراق عن كاهلي
والبحر هكذا هكذا
يلم أطفاله ويمضي
فغرقت المراكب وساح على كل من بالساحل
طويت الصحف

وجفت الأقلام
وتهيات لكي أكون ثمرة شهية
ولكن اللصوص اختبأوا تحت جلدي
ونهبوا سرتي ولحمي
وجففوا راحمي
وفتوا عظامي والصراصير اختفت في لحائي
وأنت ضفادع كثيرة كثيرة
تتفرع وتتناسل بقربي ولم تشأ أن تعرفني
أهكذا تكون المحبة؟ أهكذا تكون المعرفة؟
لك الآخرة
ولي الأولى.

فصل

[11]

هذه هي سرتي أمدها إليك وهذا هو جسدي حصان لك فاركب وتوكأ عليه
ولا تقل إلي وداعاً وداعاً
ها هو الجسد إذن يتكشف ويفصح عن سوءة بدن معتم
ورغبة دفينه
لا تقدر شمس دفينه
ولا قمر دفين
على عبوره
أو اجتيازه
فكيف يمكن الدخول إلى مسالكه الوعرة الخشنة
المليئة بالوحوش والنمور والذئاب؟!
كيف أخيط جسمي إلى الأرض
وأربط ما بيني وبين سرتها بكلام هو كلام الموتى
ولغة هي لغة الشمس والقمر
وكافة ما تحمل الريح من تخيلات
وشهوة
أهكذا تكون الحروف دائماً؟

وهكذا تكون العبارة أبداً؟
وماذا يربطني بالليل وماذا يربطها بالنهار؟

فصل

[12]

هكذا أسعى إلى خرابي
وأبني توافقاتي
أندلى كأساً مكسورة لا يقربها الأطفال
ولا تحج إليها الشقائق
وثمرّة
- معطوبة -

لا تسقط إلا بين الأنقاض
وكلمة ناقصة
في فضاء الحروف واللغة
وها هو الظل مساحة فارغة
والماء بلا لون
والسماء تتهياً للسقوط
والانهيار.

فصل

[13]

كيف أدخل إلى بيتك أيتها السيدة العجوز وأصلي وأسلم
عليك وأنت
في مكنٍ ضيقٍ حرجٍ
تتغطين بالأوبئة
وتتزينين بالجراثيم
وتنتفخين كجثة؟!
أهذه غواية جديدة وشرك منصوب؟
صارت السماء أرجوحة
والشمس ثوباً ممزقاً!!

فصل

[14]

هكذا يكون خرابي أيتها الأرض
وهكذا يكون سقف بيتك أيتها السماء
ثانية..

أهبط للأرض
وأعري تفاحة الهواء
وأقطف قليلاً من ثمر الضوء الحامض
وأتمشى وحيداً
على منزلقات الإثم والبراءة
وها هو ذا النهار يخرج وحيداً عن دائرة الرطوبة الأولى
إلى متاهات
لا أول لها ولا آخر
هل هذه بقعة الضوء إذن..
كيف أبني سفينة واحدة
فتحمل كل متناقضات الأرض
وأصعد بها نحو قبة السماء.

فصل

[15]

ها هي ذي شجرة صغيرة خضراء تفتersh
مساحة صغيرة خضراء
من الزمن
وتمد ذؤاباتها نحو شمسٍ غائمةٍ ونهارٍ مأخوذٍ بغيبته
وها هو الجسد
يصعد غريقاً نحو القاع
فلا تجد له سميعاً
ولا بصيراً
والأرض تشغو ثغاء مرأً
والسما تنفطر

إلى شرائح من تاوهات وحشرة غريبة وصراخ
وها هو ذا كوكب يأتي أخيراً
فيطل علينا بفرحةٍ ودهشةٍ كأنها القيامةُ
أو كأنه المواقيت
وأنا أسمع ارتطام جسدٍ فرحٍ بجسدٍ فرحٍ وأرضٍ بأرضٍ وسماءٍ
بسماءٍ!!

فصل

[16]

هيثوا - إذن - طقوسكم
فسألتف على شرائقي الكثيرة وأدرك بالأئلة الخائبة
والإجابات الفارغة
وأنزل عن جث ألفها
إلى جث أخرى معادية
وأستمرئ اليقظة
وهجوم الموت المفاجئ وضراوة القتل النهاري
والليلي
وأخذش حياء الشمس بيدي
وأضمد الأرض بجلدي
أيتها الأرض
لم يعد من وشيجة بيني وبينك
غير ما يألف الميت الحي من شجر الماء
ولغات الأرض في صوت واحد
وحركة واحدة
وفي لحظة واحدة
وما بين السمك الطائر المحتضر والماء المختبئ بالذيل والزعانف!!
هل إيقاعك كلام العالم
وتراب نعليك عصافير ملونة وكواكب مندثرة وحضارات أخرى
زائفة
تأهب للاندثار الأفول؟!!

فصل

[17]

كنت في شكّ من أمري
إلى أن انفصلت عن جسّمي وجحيمي
وخرجت ألتصص على الأرض
وحيداً
في غيبة النهار
وذهول الخليفة بالخلقة والموت بالموت
فضاء شاسع
يصنع الأنبياء ويقتلهم
سماء تمتد إلى غير ما وجهة فيؤولها كل أحد لحسابه!!
جدران ضيقة ولا يقال لها سجن!!
أرض قاتلة
ولا يقال عنها زنازة!!
حرية أضيق مدى ما بين فكي نملة مقلوبة
أقمار ميتة
تتمشى على أديم سماوات معطرة
بالأريج والدعوات
صراخ ولا فم
وصوت ولا صدى ونهار بلا شمس
وأطفال ولا حلم.

فصل

[18]

ها..ها..ها..ها
... أليست هناك نجمة وحيدة في مستقر لها
إلا ويكون لها شكل القرايين
كلمات أخذت صوت التراتيل بلا خشية أو علامة
على المحبة
فبأي آية ظاهرة

وباطنة
تأتي الشمس - مرتجلة - كل صباح لتوقظنا
وتدق على نوافذ بيوتنا
وحدقات أطفالنا
ومن وقت الفجر إلى شجر النوم
يخرج وقت مزحوم بفضاء المحبة
وغواية القمر لأسماء سميتها؟!

فصل

[19]

هكذا

هكذا أبني توافقاتي
والأقي محبتي الخاصة في صحراء عرضها ذراع وطولها ذراع
وما بين ذراع وذراع
تختبئ مشاتل القتل
والقنص

فأدثر بفضاء الموت وأحتمي بي من كلماتي
وأهيم جسمي
لملاقة الصّلب والشنق والقتل وكافة أشكال
الموت المدونة وغير المدونة كذلك
وأجهز حروفي لملاقة الفرح
وامتلاء القلب بأجنة المحبة
وشواهد الاحتضار
وأختفي في ملكوتي!!
فهل هذا هو الجسد الثمل الذي تملكه شهوة الموت
في طي المسافات
وعبور الأودية
ومهاوي الزمن
إلى أن يصل إلى قاراته الطافية الغارقة

ويعرى لغته وكلماته من الاستعارات والرمز وحبال المجاز؟

فصل

[20]

كيف تكون الفراشات لغات مدوّنة وغير مدوّنة
على جدران أجسادنا
بين قوم مضوا وأقوام لا تتوي المجيء
وما بين كل مجيء ومجيء تضيع المسافات وينعدم الزمن
ويصبح الوهم هو الحقيقة
وتصبح الحقيقة هي عين الوهم
وحبّات يقينه؟!

فصل

[21]

كيف أعلم الضوء أن يتجمع في شبكات هوائية
لأزمان غير محسوبة
ولا مرئية؟
أنتظر مولد الكلمات على شفا حفرة من النار
وأركض في اتجاه الغيم
والبحر
وأتدلى مثل كوكب ناتئ
ومحتضر
في سماء ثامنة
حيث لا ليل فيها ولا نهار
بل ظلام دامس!!
هكذا أتسلق الأودية
وأصعد إلى منافي السماء
وأظل أصرخ وأصرخ وأصرخ
حيث لا أحد إلا إياي
إلى أن أجيء
أو أنطفئ.

فصل

[22]

ها هي شمس تترجل بين ليلين في حدائق النهار
وترسم تارة بالأحمر الجبلي وتارة بالأسود النيلي على الوحل
شكل سماء مملوءة بخرق الملوك وجثث الضحايا
ونفايات حضارات بائدة لمدن بائدة
وأرجل خيل تخب خبا خفيفاً على الرمل
وعليها رجال أولو بأس شديد
يحتطبون الرياح من كل فج رحب
ويمضون إلى غير ما وجهة ولا يلوون على شيء
ويهمسون بكلام هو إلى النشيد أقرب وإلى الرؤيا أمس
وما بين كل غارة
وغارة يترجلون قليلاً
ويسندون الموتى إلى حوائط الريح والسماء
ويسددون لها النبال والقسي
ولكنها تنحرف دائماً هكذا
فتصيب نجمة - وحيدة قصية - هناك في سماء ضالة
فينطفئ ضوء ظل مشتعلاً لقرون عديدة
وهكذا تغيب نجمة - وحيدة - ظلت مشتعلة ببهجة وفوضى ...
فيصرخ أحدهم:
لقد أصبت نجمة قصية...!!

فصل

[23]

آن لي أن أطارد نجمة أخرى
لعلّي أقدر على إطفاء هذه النجوم جميعاً
أليست لعبة طيبة
أن نصطاد النجوم واحدة فواحدة

كما نصطاد الفراشات
أثناء نهار مشمس
لكي تعود السماء إلى سيرتها الأولى
دونما فرح
أو محبة؟
ألا نقدر أن نعلق هذه النجوم جميعاً بخيط من نارٍ ودخانٍ
إلى سقوف بيتنا
بجوار الجثث الماثلة على الجدران؟
وما هي المعجزة إذن؟
فصل

[24]

كيف لي أن أصف ما أرى
نهر من الرماد
شجر من طلع يخرج من أحشاء نجوم الصيف
سماء تطلق نكهتها
قرب الجثث المغدورة
فوق رمال الصحراء
قيامات كثيرة وليست قيامة واحدة
ونساء يتحلين بترقوة الشهداء
خلاخيل من أرغفة التأوهات وخبز الوجع الأزرق
المصحون بزمرات الدمع الغامق
وفضاء لا شكل له أو وزن
يأخذ تخطيطات مدن عاد وثمود
وإرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد
أمراء يشربون حليب الماعز الجبلي
ويدخنون بشراهة
ودموية
كأنهم آلهة ولا ريب

أميرات يتناكحن ويتناسلن دونما رغبة أو مودة
ويعطين أجسادهن لأول عابر لقاء نزوة طائشة
ويكتبن على أبوابهن ومقاصيرهن
هذه مقاعد للسمع والطرب والغناء والفرح فمن أراد منكم أن
يسترق السمع - وهو شهيد - فسوف يتبعه شهاب ثاقب
والماء بيننا وبينكم علامة على الموت والحياة لا غير.

فصل

[25]

هل كتابة السنوات على منعرجات الأحجار
ومنايع الرؤيا
واكتشاف لحظة الخلق والجنون
وشقائق النهار المبصرة
وغير المبصرة كذلك لغة لا يفضحها سر
ولا يزيغ عنها إلا هالك
فلا تذاع على الناس
كافة

ولها مملكة بهيجة من التخيلات والرؤى
وهي آفة تصيب كل عاشق
بقدر ما يقترب منها
وبيتعد
فبها يحترق
وبها يبعث مرة أخرى عند كل دورة وفي كل قيامة؟

فصل

[26]

وحيداً يتقدم قافلة اليأس
ويزرع فوق الماء صدى حنجرة متفححة بدمٍ
كذبٍ
يترجل فوق رماد الورد
على مدد من قامته

ويصلي صلاة الغائب والشاهد
ويؤاخي بين الرملة والصحراء
فهل أرخى لعناقيد الظل غوايتها؟
أتراه إذن يعرف عدد الرمل
ويمضي لفلاة متشعبة
ويوازي ما بين القتلة
والقتلى

وسماء البلد المعمور بماء القتل؟

فصل

[27]

حان إذن وقت الصلوات...
يمسك حجراً ويخط عليه
تواريخ كواكب ميتة
وبخاراً
يتصاعد من جسد يعرف حجم فجيئته ويمد لظل الأرض جنازته
له الرماد كله
والورد شباك على حديقة الدم
له الغناء كله
والوقت صلاة دائمة لمحبه
ينحاز إلى لغة دامية
ويؤرخ للكلمات على مزولة الشمس
ويمسك بين يديه غبار الروح
فهل هذا جسد مغروس في جسد موشوم بالرغبة
وهو اجس البكاء الأولى
ونعمة الفرح العقيم؟!

فصل

[28]

أنهياً لكتابة مراسيمي بيديّ وأفك عن جسمي سطوة الجنس
وشهوة القراءات وأبحث عن خلية ناتئة لتكون مقامي

هكذا أتخلص من بقية الرطوبة الأولى
وأغتسل بماء الخلق
والجنس
ولا أحد يراني
وأنزل إليكم متسخاً بالبراءة الأولى والطفولة المتسخة
وحلم الشموس المراوغة
والقمر الرائق الأخاذ
وأهبكم لعنة الحلم
وأدور مثل نجمة غريقة على القاع
تبحث عن عشة غريقة في القاع
وتفتش عن بقية العبارة وأحابل الرمز والمجاز
لكي تفاجئكم
لكنكم هناك تنظرون:
جشاً بلا رؤوس
فأفر من صومعتي إليكم
وأدخل في عباءة الطقوس ومراودات الأحلام
ومذاود الأئمة
الغاوين فكيف أباغتكم؟

فصل

[29]

ها هي ذي دورة الفلك الأولى
تمر فوق الأرض
مثل شهوة معجونة بالنار
فيخرج منها الماء
والنارنج
والدبق الأسود
واليقطين
والهواء
فهل أتى عليّ حين من الدهر لم أكن غير توافقات اللغة

ودوران الفلك الساكن
وكتابة الخليقة بالماء الأجاج
على ألواح الحمأ المسنون
وانتظار لحظة الندم القادم والفرح المؤجل
لإرادة المشيئة والمعرفة معاً؟

فصل

[30]

إذن...

كيف أصبحُكم جميعكم إليّ
كيف أردكم على أعقابكم مقهورين مغمورين وفرحين بما أنتم
فيه

لا ما أنتم عليه

والماء بيننا نرجس ببيض في الفراغ ويفقس مثل الدرن؟!
- وبينما أنا هالك هكذا - أخذت أحرق في القاع وأترجل

وأفتح أبواب جسمي وأغلقها

وأسمع المصاريح وصدى المزايح

رأيت قططاً تتقافز هنا وهناك

وأقماراً تصطدم بالنجوم والكواكب

وشموساً تنفجر انفجارات هائلة

وإذ بيد بيضاء

تتقدم مني وتربت على كتفي

وتأخذ بيميني.

فصل

[31]

قلت: ما هذا...

أما من رحمةٍ واحدةٍ لتشملنا ونصيب بها من نشاءٍ

قالت: هو الباب فادخل

(1) محجر ألق يتزيا من السماء بالنجوم المرصعة

والأرض بكتابة أبجديات الخلق والنطقِ

وفرحة اكتشاف حروف جديدة مطمورة
وغير مطمورة بين الرمل والماء.
(2) ما بين الألف والسكون فرق شاسع وهول غير مأهول
ونوم أشد يقظة من الصحو
وصحو أشد فتكاً من الجبال وهي تندك دكاً
وتتكسر على مرأى من الشمس والقمر.
(3) ما بين حضور الألف وغياب السكون تتمخض الأرض عن شجر هالكٍ وذِرٍ
كثير من الناس
والحجارة المعجونة بالعظام النخرة
والأرجل المدماة
والبثور الناتئة.
(4) ما بين كل غياب وغياب
مرآة لزمان وغد وأرض مراوغة كامرأة غاوية لا ينفص
عنها طالبوها
فلا هي تقترب منهم إلا بمقدار ولا هي تستسلم لهم بغواية بل ثمة
غارات وحروب كثيرة أيضاً ومواجع
أفلا... تعطيهم مواعيد مستحيلة فيخلفونها؟!
فصل

[32]

قلت: كيف تسكن الأرض والسماء تتكسر كل يوم قطعاً كثيرة
والنباتات تطاوح مثقلة في الهواء بلا جذور ولا ثمر
والشمس تتقيح تقيحات عميقة ولا حد لها
وأنا واقف أرتجف كالشعرة المعلقة في فراغ ذاتها وأكتب
تواريخي وأسمائي
وأحصي عدد قياماتي وخياناتي.
م: الميم ماء غارق في الرمل
يهدأ قلب الذاكرة وتشتعل بقية الحروف والأسماء التي سميتموها أنتم وآباؤكم
وجع أبيض يغطي سماء المخيلة بالأعشاب والطحالب الخضراء
والنوارس المقتولة والسمك الطائر المتوحش

هل يشتعل الشجر الأخضر لكي تأتنس بالنار
وتتقرب إليها تحت سمع النهار وبصره..
بقدر ما تقترب إلى سماوات الوقت وأخوة الأضداد ونجوم
القلب التي لا تعد؟

فصل

[33]

هذه صلوات الموتى

انظر:

كيف يقفون صفوفًا صفوفًا ويشتعلون بالبكاء والسهر وبقية التراتيل
والحجارة تطلق طقطقات مواراة
وتطير في كافة الأرجاء
كأنها الجراد المنتشر ولا أحد يبالي
فهل أقسم بمواقع الشمس والقمر وبقية النجوم
لو انفلقت الأرض
وانفطرت السماوات
وخرج شرر أخضر من الماء يهتز ويتراقص كأنه جان - ولّى مدبراً -
لأخذ الناس يطاوحون فرادى وجماعات على الجثث المنتورة
ويقيمون النذور لآلهتهم الورقية
ويقدمون القرابين لأولياء نعمهم
ولا يعبؤون بوجع الأرض
وتختر الأجنة في الأرحام
وتراهم كالحُشْب المسندة فلا يتكئون إلا على الفراغ الباهت
ولا يتساندون إلا على الجثث
البائدة.

فصل

[34]

ها هي عربة يجرها الموتى وخيول الوقت

ويسير خلفها الموتى

اسمها الأرض...

جنازة دائمة
وجثة متقيحة
ولكنها تبيض وتفقس
في الأرحام.

فصل

[35]

أعرف هأنذا أغشي أعينكم بالغيبة الأولى والفجيرة
ولا أجعل بيني وبينكم
حجاباً

ثم آخذكم لجحيمي وأنا ولكم أورادي
وعرباتي المكسرة وهزائم بدني المقيم وأصلي عليكم
صلاة الشاهد والغائب ولا فرق لديّ
قد تكون السماوات أقرب إليكم من جبل الوريد
والأرض سلحفاة متحجرة فوق جبل عال اسمه اللذة والوجيرة
أيها الجسد المتسربل بإيقاع الجسد
وبقية الحيوانات الأخرى
كيف تدخل حظيرة الجسد وأنت مقضي عليك بالموت
والقطيعة؟!
أيتها المرأة:

كيف تسكنين إليّ وليس لي عليك من سلطان
أو محبة بيضاء؟
ليس بيني وبينك غير ما يربط الليل بالنهار والليل بالليل
والشمس بالكواكب المنتشرة
وها هي ذي عربات الزمن الفارحة تنحدر بسرعة نحو الهاوية
بينما أحصنة الموت الخشبية تقف شاخصة تترصد بين مصاعد
الجسد ومهابطه.

فصل

[36]

هذه هي هجراته الدائمة

ليس فيها شمس ولا نجوم فكيف يكون مقامي
وكيف أحاول كتابة اسمي
وتواريخ جسدي
وهجرة بلداني وغرق قاراتي
والحروف غالبية عليّ
ثمة بحر شاسع بيني وبينك لا يهدأ وبه سمك ميت
وغرقى كثيرون
وأمواج متلاطمة متزاحمة
ورياح سود.

فصل

[37]

هلكت المراكب
وانجرفت السفن في السيل
وطفا الضوء غريقاً
وتحول البحر إلى شياطين ومردة قاتلة
قلت: أخطو خطوات لي
فإذا بي أتدلى في الفراغ ولا اسم لي
أرسم توافقاتي ودوائر محبتي
وكلما أسير في اتجاه ما
أجده مغلقاً وغويطاً فأترجع تراجع الخائف المنجرد
وأنداخل في جسمي
كحشرة بغيضة إليّ
غير أنى أسقط.. وأسقط.. وأسقط والفراغ خال كهوة
سحيقة
وبئر بأدغال.

فصل

[38]

رأيت شجرة عظيمة تنبت في السماء وحولها خلق كثير
عيونهم ملآنة بالتهاليل والهزيمة

والنساء عرايا
قلت: ما هذا؟
قالت: هؤلاء قوم فقدوا المحبة
ثم انتشروا في الأرض جوايين
هيايين
قلت: أبني سفينة لهم
وآخذهم جميعهم إليّ هؤلاء رفاق لي
وأخذت أجمع الأعشاب وألتقط من الأحجار ما يتيسر لي
وأصل ما بين كل حجر وحجر بدمي
وأخيط ما بين كل خلية وخلية بمودتي وسُنِّي
وأشبك ما بين الأغصان بالأغصان لتكون سقيفة
للسماوات والأرض والمرأة بجانبني
وترجلت
فإذا بالماء يتفجر من كل جانب
والأرض غارقة في قشورها
ونفاياتها.

فصل

[39]

قال رجل كهل:
لمن تصنع الفلك ونحن غرقى؟
ومن يركب معنا؟
ألا ترى إلى الماء في كل جانب ونحن من ألف سنة هنا
ولا أحد يرانا
وتقلبنا الشمس ذات اليمين
وذات الشمال
ونحن ننظر ببلاهة
ورعب

نغطّ في رقود هو إلى الموت أقرب منه إلى الحياة
وإلى حياة ليس بينها وبين الموت سوى نفخة واحدة

وبرزخ وحيد

قلت:

لقد أُلقي بنا في متاهة غير مأهولة

وركن مهمل من كون مهمل

وغير مأهول

إلى أن تقوم الساعة

ألا ترى إلى الشجر وهو يخبي براعمه في جذوره

والنهار يموت واقفاً

والثمار حامضة تساقط وتهوي إلى الأرض.

فصل

[40]

أخذني الرجل وصعد بي إلى جبل عال وهو يصّاعد أمامي وأنا أسير

خلفه

وكلما دنا خطوة اتسعت المسافة

والرمل يتقبقب قبقات عميقة تتلوى كأعناق الحيات والأفاعي

وفي كل خطوة تخرج علينا الوحوش بغتة ونحن لا نشعر

فينهرها الرجل

ويتمم بكلمات

فإذا هي كالفراش المبعوث تتبعنا

وتحلق من فوقنا

ومن تحت أرجلنا

وأنا أغذ الخطي

والرجل يغذُّ الخطي.

فصل

[41]

وكان فوق الجبل نهر من ماء غير آسن

فقلت:

أشرب؟!

فقال لي: اشرب
فشربت شربة ملهوفه عجلانه ولما أرتوى بعد
وكان أن أمتلاً جسمي بالدود والقروح
وقد صار قلبي قابلاً كل صورة
والشمس حديقه مملوءة بالعناكب
والمراكب الغارقة
ورحت أدثر بالشمس فتدثر بي
وترقد ما بين سرتي وعيني
وأجفف خريقي وسراويلي من البلل والبرودة وأمشط لها شعرها
وأمسد جسدها بلساني وعجين سرتها بريقي
وهي تنام في حجري هائنة وغير خائفة
وأنا فرح بها ومأخوذ
وهي فرحة بي ومأخوذة.

فصل

[42]

أهذه هي - إذن - الشمس
تنام بين سرتي وعيني
ويلهو بها أطفالها
وليس بيني وبينها حجاب
أمشط لها شعرها
على أريكة القلب
وأفك عنها عقدة الليل والنهار
وأخرجها عن دائرة الألفة والعادة إلى حديقه الزمن
والدوران هكذا على الأرصفة إلى ما لا نهاية
والقمر أفليه يميني
وهو أخضر وأبيض وبه نساء من كل لون وجنس يقمن فيه
ويتشحن بالخلاخيل والبنفسج
ويتزين بالكحل والإثمد.

فصل

[43]

ولما خفت على القمر أن يضيع مني
وأنا ألّهت خلف الرجل
وعلى الشمس أن تفر إلى مساكن الغيبة
فأعود إلى الظلمة ثانية
قطعت شراييني وعلقتها أراجيح في الفضاء
وربطت الشمس في ناحية
ولففت بقية الشرايين حول عنقي وقلبي
وأنا أصعد خلف الرجل ذي الوطاء
فتطلع الرجل ذاهلاً إليّ وأشار
أن اتبعني وإلا فالغرق آت
لا محالة
وأخذ العرق يتصبب
وتجمعت القطرات الصغيرة كما اللؤلؤ تدحرج إلى أن امتلأ
الأنهار
فتشبت السحب بالبخار
والبحر ليس بملاّن.

فصل

[44]

وقعدت أدعك جسمي بفصوص الحلم وشجر المحبة
وأقول للرجل:
كيف أفرق نفسي وأجمعها إليّ؟
كيف أبني توافقاتي
وألاقي محبتي الخاصة
ولا حد لي؟
كيف أصعد إليكم
وأهبط
وأنا في مكاني ثابت لا أريم؟!

فصل

[4 5]

أين هي المرأة...؟
فتقوم مقامي هذا
وكلما أنزلت عليها من مائي اهتزت وربت
وأخرجت من كل شمسٍ
وقمرٍ
وهي مليئة بالنجوم
والكواكب السيارة
المترججة في شعرها
وذيل جلابيها
وخواتهما الفصوص من البواقيت والمرجان
واللؤلؤ المكنون
ولها ألف وجه
ووجه
وجسد وجسد
ولها خرائط شتى
وبها جنات وأنهار
وعيون يتفجر منها الماء
وكلما دخلنا عليها وجدنا عندها من الطيبات والرزق
ما يكفل أهل الأرض
كلهم جميعاً
ولها أصدقاء حميمون يطوفون عليها بالمودة والكلام الرحيم.

فصل

[4 6]

أين هي المرأة فأحرثها بجسمي
وأفتش عن كل بذرة نيئة وحامضة في أرضها فأنضجها بشمسي
وأذريها بمذارتي
وألف جسمها بجسمي

وسرتها بسرتي
وقلبي عليها يتفتت
كلما غابت وآبت...
أو اختفت للحظة واحدة وبدت
وفي آخر الليل ننام منطبقين
كما تنطبق الأرض على السماء
بها أحرق وتحترق بي
ولها عرش عظيم من التخيلات والمباهج
إذا دخلته حسبته
لجنة
من قوارير وزمردات تلمع وتتلألأ
في غسق الليل
والناس نيام.
فصل

[47]

هل يكون لها من شغلٍ شاغلٍ إلّا
وهل يكون لي من شغلٍ شاغلٍ إلّا هي..
وكلما أتيت إليها وجدت عندها رزقاً كريماً وقوماً
يتأنسون
ويتسامرون
فأقول لها: بخ... بخ...
فيك محياي
ومماتي
وبك يتم فرحي
أقول: يا جنتي
فتقول: ويا جحيمي
أقول: أنت أرضي
فتقول: ويا سمائي
ويوم نبعث سنكون في جنّة

عرضها السماوات
والأرض
وأهبي لها نفسي
فتهي لي رقتي
ومواقيتي .

فصل

[48]

وتوقف الرجل في مكانه
وأخذ سبع حصواتٍ عجافٍ ورمى في كل اتجاه حصوةً
فغامت الدنيا وأظلمت وانطفأت الكواكب
وأنا أدعك عيني بالبكاء والسهر
وقال لي : انظر
هذه هي مدينة عادِ الأولى
ونظرت
فإذا الموتى كلهم وقوف
أعواد من الملح الجاف والكبريت الأحمر
وكواكب من الحجارة المندثرة
شموس معلقة في فراغ أزرقٍ ولا نهائي وبلا ضوء
رؤوس مدببة كأنها الإبر والحرايب المسننة
قمر أبيض صغير معلق
فوق رأس مقطوعة
ومتدلية من البيوت والنوافذ
ومشنوق من رقبتة
وفي جبينه بقعتان من الدم الحامض المتجلط
وكلما يغسلونه
يزداد اتساخاً .

فصل

[49]

ها هو ذا القمر يجرجرونه على الرمال والأوتاد والحجارة

ومنزلقات الوحل
والرطوبة
وهو يفتح فمه ويغلقها
ويشهق شهقاته الأخيرة
والسماء ثوب مهلهل وبه خروم كثيرة
وهي تنزف ليل نهار
بماء كالمهل
يشوي الوجوه.

فصل

[50]

وها هي ذي الأرض امرأة جميلة
وعليها من النهار والليل ثوب بهيج
وفوق ظهرها حشرات سود
تنفح فحاً غريباً كأن بها حشرة
وهي تنهش من ثديها
وجسدها
وسرتها
وفمها الجميل الحلو
فلا يتبقى سوى سلسلة الظهر
وبقية الأطراف
وجداول صغيرة من الدماء
تتفرق وتتجمع في كل اتجاه
وفي كل مرة تستغيث استغاثات مرعبة
ولا أحد يسمع أو يرى..
والرجل يضحك ويهذي ويلف سراويله
على منحدراته وأوديته
ويتقلب في الهواء كأنه جان
وأنا يقظ أتحسس جسد الأرض وأحفظ دقائق أوجهها
وعجين سرتها

ولا حول لي...
فقعدت تحت شجرة صغيرة من السنط
وكانت الشمس جافة
وأخذت أرتل ترايلي
وأصلي صلاة مودع...!!

دائرة انعدام الوزن

فصل

[1]

[يأخذ الرمل قنديلته ويغادر صوب البلاد البعيدة واللحج النجم
من أوعز - الآن - للقمر المتلثم أن يتأبط صارية الغيم أو يتزيا بقافلة ضالة
وسماء رمادية حارقة
تتألب بين مميرين من جبل شاهق وبلاد أثيمة؟؟
طيور تحط على مدد شاسع وتغادر أحراشها
ثم تنكش ريشاً من الأبيض المتخضب بالدم لون خضرتها فاقع
ثم غيم يزور في الأرض بهجته ويفضض أردانه ويسافر
غزال طريد يفتش في الأرض عن نائمة
يستكن إليها
ويبحث في الغور عن قطرة حرة
ليس فيها من الخوف ما يترأى له حين يفرد للريح ساقيه
أو يستقيم إلى بقعة خضرة.. وينام إذا..
شمس أعطت تفاصيلها لتفاصيله
فاستقر وحيداً
لموتٍ وحيدٍ.]

فصل

[2]

[يد الله آمنة

حين أرخت عليه شقائقها وانبلاجاتها

أَوْ كَانَتْ عَلَى الْأَرْضِ كُلِّ ارْتِحَالَاتِهِ؟
رَجُلٌ كَانَ يَتَّبِعُ سَيِّدَةً
حِينَ لَامَسَهَا الظِّلُّ وَالشَّمْسُ مَدَّتْ مِنَ الْغَيْمِ سَجَادَةً كَانَ سَنِبُلُهَا
يَتَفْتَحُ
أَوْرَاقُهَا قَصَبٌ مِنْ هَوَاءٍ صَقِيلٍ
هِيَ الْآنَ مُحْجُوبَةٌ بِالْكَوَاعِبِ وَالْقَاعِ رِيمٍ
وَكَانَتْ تَمُرُّ عَلَى الْمَاءِ وَالْأَلِّ
وَالْأَرْضِ مَقْصُورَةً مِنْ بَهَاءٍ
حَمِيمٍ [.

فصل

[3]

يَتَابِعُ رَجُلٌ غَيْمَتَهُ
فَتَصِيرُ نَوَافِيرُ مِنْ جَمْرَةِ الضُّوءِ
تَبْعُدُ وَتَدْنُو كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِهَا وَاحْتِرَاقَاتِهِ
هِيَ عَلَامَتُهُ
وَهُوَ عَلَامَةٌ عَلَيْهَا
أَتَرَاهُ إِذْنٌ يَعْرِفُهَا قَبْلَ أَنْ يَلْتَقِيَا
وَقَدْ نَقَشَ اسْمُهَا عَلَى خَارِطَةِ جِسْمِهِ
وَافْتَرَشَ بَاحَةَ دَارِهَا لَيْلًا وَأَتَاهَا عَلَى حِينٍ بَغْتَةً مِنْ نَهَارٍ مُشْمَسٍ
وَأَرْضٍ رَطْبَةٍ
وَبِلَادٍ تَتَلَصَّصُ عَلَيْهِ
وَهُوَ يَقْظُ يَحْفَظُ دَقَائِقَ أَوْجْهِهَا وَتَفَاصِيلَ جَسَدِهَا الْمُنْتَصِبِ أَبَدًا
فِي الْفَضَاءِ
وَلَا يَفْصَحُ عَنْ اسْمِهَا لِأَحَدٍ فَيَعْرِفُهَا
أَمَّا هِيَ فَبَعِيدَةٌ كَنَجْمَةٍ بَازِغَةٍ
فِي سَمَاءٍ مَفْقُودَةٍ وَأَرْضٍ مَرَاوِغَةٍ.

فصل

[4]

هِيَ عَلَامَتُهُ وَهُوَ عَلَامَةٌ عَلَيْهَا

فهل يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر
وعنده من المعرفة فوق ما يعرف من النعمة
وما لا تعرف من الجحيم
وله فيها ما يشتهي من الخمر المعتقد أما مُدْنُهُ فخاوية
إلا من زهر أسود
وقمر منطفئ
وأجساد مضيئة وميتة
وحجارة متواطئة ومصقولة بدم كذب
والميثاق بينه وبين السيدة ماس مصفوف على الأسرة وفاكهة عطنة ومحرمة
لزمن قادم مستتر
وخواتم الجسد الخضراء
وسنابل الردفين الكهرمانيتين
وقناديل الشفاه البازغة والأسرة قطيفة وزعفران
وحجارة الجدران من ذهب خالص ولآلئ من طحلب حامض
فماذا سيفعل بأسمائك رغبته الحمراء إذن وماذا سيقول لها في آخر الليل
وهو لمّا يزل يستقبل الفجر بجلايبه المتلفعة ببهاء النجوم
وشوارد الأحلام؟!

فصل

[5]

كانت الرغبة المتوحشة شجرة متوحشة
ومليئة بالبرتقالات الناضجة والحامضة
والأغصان مشتبكة بوبرها وغبارها هل تحيل ممراتها فضة؟
حتى إذا أخذت الريح زينتها وأتت من كل فج رحب لتناوشها
وتتكئ عليها
خرجت الشمس محلولة الشعر وعارية الأرداف
والأوراق جنود مجنّدة وبروج مستنفرة تقذف بالحجارة والحمم
على كل من يقترب أو يحاول الملازمة هل يفكر في الرؤيا
والشمس على جذع النخلة تتأود

وتتخلع
كامرأة ثملة وغاوية
وما من رجل واحد يمر عليها أو يعرفها فيلقي السلام.

فصل

[6]

حمل الرجل صرته
وودع الشجر والجبال والبيوت والشمس والقمر
وطفق يضرب في الأرض مثل بائع متجول أو كعابر سبيل
ويلوح بذراعيه لسفن الورق الباهتة
وفراشاته المختبئة على أزهاره الحجرية
وأوما لجذع نخلة عجوز
- كان قد نسيها قبل ألف عام -
هي امرأة من دم الأرض والنخل
أغفت قليلاً على سرّة الضوء
قامتها تشرئب إلى قصر مرمرها
بيتها فضة
ثم ريم على القاع يجرفها بينما تتلفلف بالزهر والشمس هاضامر
خصرها

ومناديلها من سماء ترابية ودخان
حين لامسها كانت الأرض من جمرة
تتوقد
من يدخل الآن مخبأها
والطيور السماوية المشتتة ترفرف فوق ذؤاباتها وممراتها زبد
من فصوص الحقائق
والأرجوان.

فصل

[7]

خيول كمثل الحصى والتراب
ويخرج وجه وحيد بين حوافرها والتراب له شهوة

ليس لي أن أرج دمي فاستمع
أسمع وقع خطاي
دمي غارق تحت قمصان أشجارها والسما شرر وغناء رفيف
فتهتف بي: ما الذي أبقاك في الليل قرب فراشي؟
أنا... دثريني
تنهدت وانفتل العظم أرجوحة واختلطت بأوردة الماء والغيم
شعري يقطع
وبإيماءٍ خفيفةٍ خفيةٍ منها دخلت إلى تويجة الجسد
وحانات الأعضاء
فعرشتُ عليّ وحللت عنها مئزرها الصوف
فانكشف الجسد عن هيئته الأولى
ومثلما كان في لحظة الخلق والأمر
وترجلت في أرض وعرةٍ وسماوات غريبة وقلت: يا هذا من
أسرى بك ليلاً إلى هنا؟؟
والدروب وعرة والمنزلقات خطيرة وليست هناك من نجمة تدلك
أو دابة تحملك وما من أحد يغويك على حرائة الأرض وفلاحتها
وليس هناك من نهر قريب فنشرب منه أو نسقي خيلنا ورحلنا
أمجنون أنت لتفعل ما فعلت؟ وماذا حل بك من خرابٍ ونقمةٍ
فتأتي إلينا

حيث لا شمس ولا قمر ولا نجوم ولا كواكب؟؟!!

فصل

[8]

دعكت أعضائي بوهج المحبة السافر وتوضأت بالخمرة المزبدة
وغسلت أطراف جسمي بريقي المحترق الجاف
ونشفت جسدي بأريج الليمون وخمائر البرتقال
وانفلتت نجمة وحيدة
تدور في فلك جسدها المشع المسيح بوحشيته
وطراوة أعضائه وزهوره المتوهجة المترامية الأطراف
وتوجت نفسي ملكاً على فضاء نفسي

وانتظرت ألف سنة

فخرجت وردة صغيرة بورقة واحدة فقلت:

وردة وحيدة

بورقة واحدة؟

وفرحت بها وجلستُ.

فصل

[9]

وكانت قطرة صغيرة من الندى تتلألأ على طرف الوردة الوحيدة
وفجأة

رأيت شمساً تشرق من قلب الوردة الوحيدة فقلت:

دثريني.. دثريني أيتها الأخت الوردة

فنضت الشمس عباؤها الذهبية

ووقفت على مقربة مني لتستمع إليّ فقلت: دثريني...

أنا بردانٌ ولا من دابة هنا أو نائمة هناك فأنس إليها وأكلمها

ومذ أتيت إلى هذه البلاد لا أجد أحداً يكلمني أو يؤويني

فضحكت الشمس مني

وفككت عروة ثوبي

فأصبحت عارياً إلا من ... و...

كان عليّ أن أقطف الوردة الوحيدة ورقة.. ورقة..

لأستر بها عريي فلم أفعل...

ونمت تحت ظل الوردة الوحيدة ألف سنة

واستيقظت على صوت طائر يطير ويرفرف بجناحيه البنين

ويضرب في الفراغ بريشه المراوغ الأخاذ ويعلو ويهبط

في دورات متتابة وأنا أدعك عيني وأفتحها.

فصل

[10]

هل أنبتت السماء زهوراً ومن أين أتى الطائر الجبلي الوحيد؟

وماذا أنا في مثل ذلك اليوم؟ كيف أضرب في القاع وحدي؟ آه..

الصحراء شاسعة ولا أحس إلا بجسدي يعرش عليّ

ولا يمكن لجسدي أن يكون زوجين اثنين...!!
فأخذت أجذف في الرمل
وأقتل من حصيرة الهواء سلماً
وكلما أمر على واد غير ذي زرع أشعل فتيلة جسمي وأرتل أورادي
فلا أجد على النار هدى
فماذا تكون الشمس والقمر والنجوم إذن؟
وأفقت دهنلاً
فإذا بالطائر الجبلي الوحيد يقف على جذع جسمي
ويخلع بضع شعرات بيض من رأسي ويمسح على عيني
ويهدل هديلاً جميلاً طويلاً.

فصل

[11]

كيف أعطي لجسمي قانونه؟
ولشكلي هندسة فراغه؟
ولشهوتي طقوسها؟
ولبدني انكسارات ضوءه؟؟
كيف يكون الدم ماء
وأنا وأنت نضرب في العماء الغُفل ولا شيء نصلي ونسلم به
على أهل هذه البلدة
وكيف يكون لشجرة مثمرة أن تعطي ثمراً عطناً
فلا يأكل الطير منه
ولا يتبقى بها غير فروع ذابلة محتضرة
ودم متخثر موبوء
وماذا عن قانون العالم إذا نحن لم نحاول اكتشافه ثانية؟
أما من امرأة وحيدة تكون سكناً لي وأقر بها عيناً؟

فصل

[12]

وكلما أحاول أن أعجن الرمل وأخبز الهواء
وأدثر بجرح الأرض

وأنتخب من الشجر ذرية
ومن الشمس
كرة
لأطفال لا يجيئون غداً
تنسرب الأسئلة من رأسي وأراود نفسي عن القتل والقنص
هل في ذلك قسم لذي حجر؟؟
تعبت عيني من النظر
وأذني من السمع
فماذا سأفعل بالبالونة الصغيرة التي تستقر في داخلي
وهي هي
مليئة بالثقوب والأورام
ومتى تشرق شمس الغد ثانية فأراها..
مثل خطاياكم متوهجةً
ولامعة؟؟

فصل

[13]

حصاة الرغبة الصغيرة ماذا أنت فاعل بها
وأنت جالس على عرش العالم
وفي يدك كرة ذهبية تدحرجها نحو الأرض وقتما تشاء
فمرة تكون حديقة من الدم مزدهرة
ومرة
تكون قطيفةً متدلّيةً متعددة الألوان والشرائع
وتارة تكون قطيعاً من الماعز الجبليّ
تسوقه للذبح عصر كل يوم
وأنت في مكنك الأبدى
تراقب أخاديد الدم المنسرب
صوب الأنهار
والبحر ليس بملاّن؟؟

فصل

[14]

هل تشتعل السماء وتنفجر كرة الأرض؟؟
ساعدوني على أن نشعل النار في العالم
ونقيم مكانه أعراساً جديدة
وخرائب أخرى
ولكنها

على كل حال ستكون أقل سواداً مما هي عليه الآن
كيف يمكن أن نسكن الأرض
ونعلم أولادنا سكنى الأقباط ومدن المستقبل؟
فنضع وردة على كل بيت ونقول لأهله انظروا:
هذه حضارة آتية
ومدن أخرى لم تطؤوها من قبل.

فصل

[15]

كانت الكائنات الحجرية حشرات بريّة بعيون تفح شرراً
وها هي أجساد على هيئة الآدميين تركب سفينة واحدة
في بحر لحي
ظلمات بعضها فوق بعض
وتطفو السفينة حيناً وحيناً تشارف الغرق
والموج طام
والصراخ يرتفع عالياً من كل جانب
قالت امرأة في السفينة لرجل وحيد: إلى أين نحن ذاهبون؟
فأشار إلى البحر..
وأخذت المرأة الوحيدة تمسك بجثث الأطفال
وكلما مروا بموجة
قذفت بواحدة إلى البحر
والرجل مشغول بقناديله المنطفئة
وهو يضحك ويهذى.. كالمجانين: ارفعوا الشراعات عالياً..!

عاليًا

غير أن موجة طامية طاوية أتت زرقاء مسرعة
ولها صوت عظيم كأنها القيامة
فانخلع لها كل من السفينة وانفزعت الأجنة في الأرحام
وأخذ كل واحد من السفينة يصرخ ويبكي
والشمس تتأرجح تأرجحات لا معنى لها.

فصل

[16]

قالت امرأة في السفينة:

تخلصوا من المؤمن والذخائر فازدادت الموجة علواً والسفينة
تمايلاً وصاح رجل كان مشغولاً بتمائيله
ألقوا بالعجائز والمسنين إلى البحر
والرياح تصفر صفيراً مجنوناً فازدادت السماء زرقة
والموجة علواً
والبحر تطفو وتطفو.. واحدة إثر الأخرى
وتغمز لكل من في السفينة
كانت اللغة غير مفهومة والحروف أخذت شكل كائنات رخوة
وصُلبة بأجنحة من نارٍ
وعيونٍ تفتح شرراً وسواداً وظلمة وسُمع ارتطام ما فتتأثرت
الشهب جارحةً
وصارت السماء ثوباً ممزقاً ومرافئ غير آمنة
فمن صعد إلى السماء ونزل
ومن صرَّ الماء في صرة؟!!!

فصل

[17]

احتوت الموجة السفينة

فتطايرت الألواح وسكنت الآلات وهذا كل من في القاع
وبقيت وحدي معلقاً بين البحر والسماء
فأخذت أهتف:

يا فضة النهار ويا زبد البحر
أين هي الأرض فأعيّد عليها عيدي وأقيم طقوسي وأقدم قرابيني
وأمسح جلدي بورقها الباهت المصفّر
يا فضة النهار ويا زبد البحر أين هي الأرض
فأهجم عليها بكُلّيتي
ولا يتبقى عليها من ذرة أو رملة
ولا شجرة معلقة في فراغ نفسها إلا وصرت ورقة من أوراقها
وخلية من خلاياها؟
أين هي الأرض فأمسح بها جسدي
وأدعك جلدي بفضتها
هأنذا قد صرت عاريًا ووحيداً
كلميني أيتها السماء فأسمع صوتك
دثريني أيتها الأرض
فأبدأ حلمي صاعداً إليك وهابطاً.

فصل

[18]

امنحيني أيتها الأرض حبة وحيدة من الحرية
فأوزع فصوصها عليّ
وها هو الجبل عالٍ وشجرتك بعيدة عني
دمي بَقَعَ وجه الأرض
ولطَخَ حدائق القمر
لقد خفت على ألوانك الذهبية من دمي المتخثر وموالي الحامض
أيتها الشمس
أين صورتك في عيني وبهاء نفسي؟
وماذا عن السيد الجسد والمرأة التي وهبتها كل شهوة لي
وهي ليست ملكي؟
أحترز منك بكائناتي الضالة
وقططي الميتة
وأحترز من كائناتي الضالة بك أنتِ..!!

فصل

[19]

غناء يأخذ شكل الحنجرة الخضراء
توقفتُ تحت عين الشمس الحمئة ونظرت إلى الوادي:
أ - نمل يسير كجيش بلا ألوية
عصارة السماء قطع متجاورات وغير متجاورات من الدخان والمُهل
وغرايب سود وأبنية هرمة
ومساكن خاوية إلا من السنط والعصافير مشتعلة
والمسافة بين كوكب وكوكب
أقصر من المسافة بين الضحية وقاتلها
ولا مفر.

ب - النمل يزحف على الشجر
ومداخل الطرق
ويتخذ من الجبال بيوتاً
ومن الشجر سكناً له وإقامة
وهو أبيض وله رؤوس مدببة كأنها الإبر وطلُع كأنه رؤوس الشياطين
فقلت:

أما من رحمةٍ واحدةٍ؟!
فأصابني وابل من مطرٍ أحمرٍ ونفايات قمر مخنوقٍ محترقٍ
وكانت نخلة وحيدة في قلب الصحراء
والشمس والقمر في كل ليلة يأتيان إليها
والنجوم تتقرب على ذؤاباتٍ كأنها جثة الزمن
وأشلاء عصر الطاعون.

فصل

[20]

ج - أهيب نفسي لعاصفةٍ هي الخلاص وخلاص هو العاصفة
د - أصنع من جسدي خميرة المحبة الواهنة
وألهو به أمام الأطفال لعلهم يفرحون
فيذا بهم يرمونني بحجارة أرواحهم الضائعة

وشجرات طفولتهم الهرمة
وينظرون إليّ شزراً وأنا أقول لهم:
تعالوا إليّ يا جميع المتعبين وأنا أريحكم.

فصل

[21]

ص - أرفرف بجناحين مشتعلين وأرقص على زبد الماء
وأواخي سمكاتي الذهبية في كل الجهات وأدعو طائراً إليّ فأكلمه
وأراقصني تحت شجر الوحشة
وعناقيد الغضب المشتعلة
وأجفف مساحة أخرى من الضوء
وأوزع على كل الجهات دمي وبقاياكم ثم أباركه فيكم
وأدع في رحم كل امرأة طفلاً يحمل كل علاماتي وقياماتي
فما من أنثى تحمل أو تضع إلا وتكون المحبة هي شجرتها الخضراء
وبيتها الذي تأوي إليه
ع - أخبئ بين كل تويجة وتويجة مدينةً مطمورةً وملامح لذرية منقرضةٍ
م - أما من أحد...
ك - تحت كل زهرة شمس صغيرة وسماء لوطن يقوم أو مملكة تشبهه
س - متى يكتب كل منكم قصيدته بلغته التي تشبهه وحروفه
التي يأويها

ويربها تحت سقف بيته كالأرانبِ
وقطط الفخار المشتعلة وممياواته
ولا يحتاج إلى لغةٍ أخرى ليكون ابنًا من أبناء المستقبلِ
ن - أما من أحد...؟؟؟!

فصل

[22]

ياخذ الدُم شكل الأتربة ومخدّات النوم ومحارات الأرغفة
ومربعات الزجاج والألوان وإشارات المرور
وتذاكر السفر

وحانة قديمة

وجسد امرأة ثرة ورجل عجوز
فمتي نفر من أسماننا الضيقة إلى مسمياتنا الرحبة
ولا يكون لنا شكل الحلازين؟
وتأخذ الأرض شكلَ عباءة رجل كهل تعابته ريح عقور
وشجرة مقطوعة على ضفة نهر قديم
هجرت بهرجة المياه وظلال الحساسين
وليس على القاع سوى ذكريات ماء
ودم لزج
وضفدع يقرع ويتناسل بحيوية كأنه الجراد المنتشر
وتأخذ السماء شكل قبيلة مندثرة ولوحة فارغة
من الرسوم
والألوان والشراشف.

فصل

[23]

كيف أمسك الفراغ وأزين به نفسي
كيف ألون الضوء
وأضع بين كل فراشة وفراشة مقعداً لرجل وامرأة وطفل؟
كيف أضع بين كل زهرة واسمها مساحة
لحلم...!!
كيف أدخل جزيرة الهواء
وأتوج نفسي ملكاً عليه
وأجلس على أريكة الفضاء الخالية وأرتب أمراً ما
ليس الجنون أو الغفلة وليس النوم أو اليقظة
وأجلب لكم من كل حديقة
زوجين اثنين...
لتشهدوا عرساً لكم بعرض السماوات والأرض؟
وكيف أجعل اللغة سهلة فلا تقف على أبوابكم حائرة
فتفهموني ولا تطاردوني

من على أبواب حناجركم وأدمغتمكم المملوءة روثًا
وخرائب كأنها الضحية تُجز بالسكين؟!

فصل

[24]

هل اللغة قطط موبوءة وكلاب ضالة فتر كلونها كالنفايات؟
إذن احجزوني في قفص أرواحكم الضالة
وسيجوا على جدران سجونكم الباردة واقفلوا عليّ بالأقفال
كي لا أفر من زنازلكم
إلى متاهاتٍ لا أول لها ولا آخر...!!
بين اللون ونقيضه مساحات فارغة
وعلى الأرض
بقع من ضوء جاف وهواء أسود
ودم في الأركان...!

فصل

[25]

أقتنص من النوم ساعةً وأدخل في حديقة الجسد
الملبيء بالقطوف والوعول
وأركض في اتجاه البحر.
أقطف غيمة برية وأتشح بالضوء والإقامة
وأقول لجسمي: هل امتلأت؟ فيقول.. هل من م... ز... ي...؟!
أطلق نحوك فراشة الجسد المسكون بغواية الجسد
وغابات الشوك الحمراء
وأمسكها ساعة أو بعض ساعة حتى تشقق الأرض
ويكون لها طعم الكمثرى وبرتقالات الضوء الناشف
وعناقيد العنب المحمر وشجر الخشخاش الـ
مكتنز بجذوره وتشققات أوراقه ونزوعه وأفسح لنفسي
كوكبًا عن يمينك وكوكبًا عن شمالك
وآخر وراء ظهرك
فلا تعبئين بي أو تنظرين إليّ

هذه ساعة الإقامة في مدار الثبوت ووحشة الطريق في مدار سفرٍ

طويلٍ

ليس عليّ سوى الانتظار

إذن.

فصل

[26]

أفتش عن خيمة قريبة خضراء وأرتب فيها مراسيمي

بيديّ

غير أنك تأتين في ساعة متأخرة وتكشفين عنك غطائي

وبإيماءٍ خفيفةٍ منك أدخل حدائق النهار المزينة

بالإثم

والبراءة

وأطفئ قليلاً على العشب

وتفاح الألم المخضر وأشلاء الحلم

وأكتب بحبر جسمك المرتعش

نشيد الطفولة الموءودة

ونشاز العالم المنهار

وأدعو غيمة ضائعة إلى مائدتي وسكنائي والإقامة في بيتي

وأغرس لك شجرة مخضرة تسمينها الحرية

فتغرسين أمام داري غصناً من غصونها المتفرعة وتكتبين على

كل ورقة

هذه دروبك الوعرة وجنتك الموعودة

المفقودة.

فصل

[27]

حينئذٍ..

أغزل لك ثوباً من بقع الشمس وبقايا النجوم وزبد البحر وفضة الماء

وأرصعه بجثث القتلى وحدقات الجرحى

وتأوهات الألم المشع

وخرائب العصور
فتضحكين ولا تبكين
فكم تكرهيني وأحبك
وأكرهك فتحبينني
يا أنتِ: أيتها المرأة الحجرية اللعنة عليك ثم اللعنة عليك وإلى أبد الأبد
فليس جسمي مركباً لك أو خفّاً تدوسين عليه
لنسم الأشياء بأسمائها
سرتك كأس مدورة ولا يعوزها شراب ممزوج
وخمرة يدك لذة للشاربين
جسمك قطيفة مصبوغة بالعشب والشقائق
ولا يقيم عليه حارس
ولا تؤدي إليك هاوية هاوية
ولا يقر لك جسد على شريعة ما
أما أنتِ فشريعتك حضورك الذي هو غيبتك
وغيبتك التي هي أبقي
من كل حضورٍ في نفس الوقت.
فصل

[28]

يمينك كرمة عنب ودوال لا مقطوعة ولا ممنوعة
وسرك ذائع في الآفاق
وكلما قطفنا من ثمرك الشهى شيئاً
تفتقت الكرمة
واشتعلت العناقيد
وتكشفت لنا سوءاتنا التي لا أول لها ولا آخر
عينك شمس الله
يا الله...
كيف أخبز لك الفرحة الدائم وأقدم لك المسرة
يا أنتِ
أيتها المرأة الحجرية

كم أحبك وتكرهيني

وأكرهك

فتحبيني...!!

فصل

[29]

أزين نفسي لبهرجة الطفولة وطقوس الحلم وإدراك الحواس

وغير الحواس من سفر وركض ولهو ولعب وزينة

وموت هو النعمة ونعمة كأنها القيامة ولا شيء بعد

وأتهياً لمنازلة النوم والسهر

وكتابة تمائم الشجر وأحجية الليل

وحشرة الأجنة

وأتبع منازل الشمس والقمر والنجوم

وأغفو على بوابات جسمك

إلى أن تقوم الساعة

وأفك طلاسم سحرتك وسحرك

وأسرق نار المواءمة بين جسدي وعجيتته الأولى

وبين الأرض ومسامها البعيدة القريبة وليس عليّ من سلطان إلا أنت

فأرسم فضاء نفسي بنفسي

وأزينه لعيني...!!

فصل

[30]

هل البحر كتابة أخيرة لسما ثامنة

لا نرى منها غير الزبد والمحار والطحالب الميتة الخضراء وغير الخضراء

والمراكب الغارقة

والألواح الطافية

والسمك الأبيض المتوحش

وبقايا دم منقرض لعصور

باهتة منقرضة؟

أشتهي وردة بألف غصن

وامرأة ثرة تكون شجراً زاكياً ولباناً مرّاً
وعليها وبها يختصم الشمس والقمر ولها عرش نضيد.
يأخذ الرمل قنديله

ويغادر صوب البلاد البعيدة واللجج النجم
من أوعز الآن للقمر المتلثم أن يتأبط صارية الغيم
أو يتزيا بقافلة
ضالة

وسماء رمادية حارقة
تتألب بين ممرين من جبل شاهق وبلاد أئيمة؟؟
فصل

[31]

مشاهد الغياب والحضور لزمن محدوب مكسور
الوجه كوكب يدور

والأرض ناقة خضراء تسير تحت قبة الدماء
والشمس بقعة حمراء

في ثوبها المهدم المنسوج بالعظام والأشلاء
والريح مخبأ الجثث

رأيت نخلتين من زبد وماء

تخرجان من غيابة السماء

والطائر القديم

مسمر مصلوب في الفضاء

والريش شاهد القتل والدليل

هل كانت السماء علامة الدماء أم كانت الدماء علامة السماء؟

رأيت كوكبين من لجة ونار

يبكيان جرح الأرض

وينضوان زهرة الرصاص والحديد.

الوجه كوكب يدور...

والأرض ناقة خضراء

تسير فوق جثة الدماء!!..

كانت هي علامته
وهو قيامة عليها
تابع رجل غيمته ومضى ...

فصل

[3 2]

سنبلة في غرفة نومي تتفتح
شجر مسكون بالضوء وبالكلمات يكلمني
زهرة صبار تنبت في حلمي
وتنادمني
تأكل من خبزي وتشاطرني كل مسراتي وهزائم بدني وطقوسي
أشلاء عيون متبلورة فوق الجدران تحديق بي
ماذا يفعل طلع النخل المتبعثر في أرضي
وسفائن جسدي الغارقة بقاع البحر وأصداف الماء
أقدام عارية تدهسني
فتفتت لحمي
وتذريني للريح الهاربة من الجنات
ووحل الأزمنة الهرمة
وطواحين الموت
وبقع الضوء الغاربة المتعكرة.

فصل

[3 3]

وطواط يطوق بابي - مبهوراً - ويحلق في سقف الغرفة
أقذفه بالنوم
فيرجمني بحجارة أحلام متحجرة وبقايا شهوات نازفة وعصور
منطفئات
سيدة تشرق في الليل فتترك فوق الجدران مناشفها وضمائرها
وتحل على الشمس المخبوءة تحت وساداتي مئزرها
ثم تشير على بأن أتبعها
حتى هاجسة النوم ومطلع شمس حمئة

تفرد شالاً من وحدتها الخضراء على طرف غواياتي
وتفض على جسمي المتغضن أزياء أنوثتها
فأقوم وأتبعها مجنوناً من فرط الرغبة
جسد معجون بالعاج وبالحناء
وملفوف بحريير المحبة وسلاسل الضوء
وتنهديات الأجنة
وثدي كزمردة خضراء
وعينان من اللؤلؤ المصفوف على مقاعد اللون
وأرائك الخضرة المذهبة كأنها الزبرجد واليواقيت
والصدر خليج من العسل المصفى والمرجان المكنون
وسرتها كأس دامية ومصببات صاعدة وهابطة لنار لا يسهل
اكتشافها

وجحيم كأنه المأوى
تحت شمسٍ هي الرحمة
ومحبة كأنها النعيم.

فصل

[34]

أتأهب لمنازلة النوم
يمام يهدل في ذاكرتي
ويعيش فوق خرائب أرصفتي ومناراتي المعتمدة وبدني الشائخ
أشعل قنديلي المطفئ وأتبع بعض غواياتي
- الشراف والنوم أم حلم عابر غطسته المرايا
ذهولاً أفقت -

ترأت لي المرأة - الحجرية - واقفة بين ماء ونار
أكانت هي الجمرة المستكنة في مرمر العشب
ترسم وقع خطاها دمًا...

وشموساً من الصلب
معروشة فوق قبة جسمي
والنجمة المستفيقة في الغيم نواره

لزمان مضى
وزمان يجيء؟؟

فصل

[35]

ترسم الشمس كحل جسدها على رمل الأفق
المزمر بتقاطيع البداوة بخيوط من نار وأرجوان..
ودوائر من بنفسج لدن باكتناز الأعضاء
وخصوبة البدن الحي.
كأنها الأرض فككتها شهوة العطش
والنعاس

ووجع انفلاق الرحم

وطفولة الحلم

هل هي الرحم

الأرض!؟

فصل

[36]

كان رجل يسير مشغولاً بفضائه وامرأة تسير مشغولة بفضائها
والتقيا فإذا هما..

ورقتان لشجرة وحيدة

آثرت أن تظل واقفة هكذا ومعلقة في الفراغ سنين عدداً
وكلما اقتربا أو تماسا كانت الشمس واقفة لهما بالمرصاد
والقمر يصعد ويهبط ليفر من منازل السكون والحركة إلى
مشارك الأرض ومغاريها
وهما يضحكان..

وينضوان من على جسديهما الشفيقين أردية القنوط ليدخلا طقس

الأشياء وطفولتها

ويجددان عهدهما بمواثيق لا تنفصم

وشرائع غير مكتوبة أو مدونة

هي علامة عليه

وهو قيامة لها
تعرفهم بسيماهم كلما التقى الماء بالنار
وأخرجت الأرض أثقالها.

فصل

[37]

واقف...

أنت في مكنٍ ضيقٍ حرج
تراقب تفتح الجسد لوردة الجسد وامتلاكه لزهرة الشهوة الرابعة
وتويج الأنوثة المنفرط على طرقات الليل الصلبة
والنهار قبة غاوية غازية لجسدٍ منهزمٍ
ومكنونٍ...

في سماءٍ بعيدةٍ
لا تشرق فيها شمس ولا تلتقي بقمٍ إلا بمقدارٍ
فلا تتقابل المسارات
ويتفرق الحلم كأنه الفتات والأشلاء
وتنفك عرى الرؤى فلا يتبقى لديك سوى الحصى ووسوسة الحلي
وأزهار التراب المجففة وشجر النسيان الصاهل
على امتداد السمع والبصر والفؤاد وما أنت بمسؤولٍ
عن كل ذلك ولا هي بمسؤولة وكلاكما
في غيابتين من غيابات الزمن لا تلتقيان إلا في توارِدِ الأحلامِ
وسنابلِ الخواطرِ الدامعةِ.

فصل

[38]

متى يقبل النهار أعزل وكأنه الطوفان والليل من ورائه جيش محيط
بألوية ودروع
كانت هي وردته
وهو وردة عليها
يستند عليها بجذعه ويقدم لها القرايين فتقدم له كأس الدمع
وحموضة المحبة

وبرتقالات الوجع الأخرس
فأي علامة تلك وأي آية؟؟
ويقابلها في منتصف النهار والليل فلا تقابله إلا من وراء حجاب
ولا تكلمهم إلا رمزاً.

فصل

[39]

قائم هو بالليل والنهار عليها والناس نيام وهي مشغولة عنه بحدائق الندم
ومشاكل القنص والقتل
فلا يعرف أي طريق يسلكه
وأي الدروب يجدها مفتوحة ليفر إليها
حيث لا وصول أبداً ولا رجوع دائماً
وكانا...

إذا قالوا فاضا

أنت... مشغولة

بسقاية الحجيج وإطعام الضيوف من كل فج
وأنا في كل يوم

أجيتك مزدهراً بغواياتي وقوانين بدني المنهزم فتجيبني إليّ
مكتوبة بوجعك الخالص وحكاياتك التي لا تنتهي
فكيف أفتح أمام جسمك بوابة العشق
وتطلين على من فُرج القنوط؟؟

فصل

[40]

ها هي متاهة الجسد إذن...
أنت مكتوبة بوجع القديسين وأنا مرشوش بالصلبان
وتمتعات المساجد
وأضرحة الفقراء
علامة أنت على السهر والحمى
وهذه هي شجرتك الضاربة عميقاً والضاربة
وجذوري شاهدة على ما أقول

شمسك منسوجة على جسمي أخاديد ووديان وهي بطقوسها
وتفتحاتها علامة لي
كانت هي وردته وهو وردة عليها
وهي قيامته
وهو قيامة عليها..!

فصل

[41]

شجر فككته السماء عروقا من الذهب الأصفر
المتوهج في الليل
والغيم حافاته
كان لباس شهوتها بروقا
ضفائرها المليئة بالسموات القريبة والنجوم..
دخلت حجرتها الوعول البيض والزهرات
قادتني الخطى وجلا إلى طرف الحديقة والسماء زينت بلباس
خضرتها

وها يسابق النجم المطيف تجاه غرفتها أو طرفها حور
ونار فراتها زجل

لطير غامض يأتي من الأيك القريب؟!
زجرت نفسي وأدرعت بشالها المعقود ما بين الضحى والليل
محبوس أنا في لجة من ماء عينيها
فكيف أفر من برق لبرق؟
وكيف يكون صوت حصاتها سكنا؟

فصل

[42]

استفقنا..!!

كانت رجفة الفجر المغبش بالعماء الغفل والأمشاج تعتلك
الندى والعطر
والنطف الخبيثة تشرئب كغابة مطمورة ما بين صخر الأرض
والسموات

دانية قطوف الآل
هل قطعانها ذهب فأعرفها؟
أو اكتملت قوافل رحلها الحبلى بماء الخلق والتسليم وانسربت
تفتش عن سلاله قطرة مخبوءة ما بين شعبٍ ضيقٍ حرجٍ
تمر الريح بين ذؤابتين
وينحني جبل لصاعقة فأسكنه
ادرعت بشالها المعقود ما بين الضحى والليل
قلت: أخبئ الأشلاء من جثثي
وذاكرتي!!

فصل

[43]

هل ذاكرٌ أنت شكل المرأة التي في حوزتك ولون جسدها وطعم
قرنفلها وحنطة بطنها
وعجين سرتها؟
وماذا ستفعل ساعة المد والجزر
وهي ليست ببعيدة عن هنا؟
هل خلخالها خشخشة الماء وبياض اللبن الحليبِ
وفضة الغيم تطرز به الريح
وتزين به أخاديد الشمس ومعارض القمر ومنازل النجوم
وهي هي غجريّة لا تحب سكنى الأعالي
وقمم الجبال
هي علامة على الموت
وأنت علامة على الحياة
ولا تهبط القرية التي أنت ساكن فيها
فلا تجيء إلا متخفية عن الرقباء والبصاوين.

فصل

[44]

عليها

عراجين وشهب وممرات وعرة كثيرة تسلكها

فماذا أنت فاعل بها
وهي عليك من الحسك والشوك ثوب لا يبلى ولا يزول فلا
تخلعه إلا لترتيبه
وأنت لا تزرع غير الوحشة
ولا تحصد سوى الهباء والذر؟؟
هي أهلة بك وموعودة وأنت أهل بها وموعود...!!
فكيف يكون لجسد ثمل أن يكون آية لجسوم كثيرة
والماء بينك وبينها نخلة
تتفرع فروعاً كثيرة وميالة
وتمد ذؤاباتها فوق أرضٍ هي الشيخوخةُ
وفضاء هو الجحيمُ
فلا تطلع عليها شمس أو يزورها قمر
إلا ساعة موتها
وحتفها؟

فصل

[45]

تمت لك النعمة والمجد إن هي أشرقت
لها ملكوت جسمك الرحب تتبوأ من الأركان حيث تشاء فمتى
ستأتي متبرجةً
ثملةً
وفي يدها تحمل عطايك وقطوف جسدها
وأنت ذاهب نفسك عليها حشرات؟
ولها عرش عظيم
إذا دخلته حسبته لجةً من قوارير وزمرداتٍ من لؤلؤٍ مكنونٍ
وإن خرجت منه
تكسرت عليك النصال
وانفطرت الأرض
وتشقت الجبال ولا تدري بأي بلد تموت
وهي عليك واقفة..

فلا تذهب نفسك عليها حسرات وقل لها في آخر الأمر

سلام

هي قيامة عليك

وأنت قيامة عليها

طلعت شمس الفجر مذهباً عليك فاستفق.

ما قاله السيد للسيدة

فصل

[1]

اندهش السيد من كلام السيدة

ورنا إليها ببصرٍ منجردٍ

وهو واقف على حافة الليل يرقب تحولات النهار

أليست القيامة أقرب إليّ

من امرأة

أعرف تفاصيل جسدها

وحنطة بطنها

وعجين سرتها

وهي ممسكة بزمام وقتي

وأنا واقف على شجر التحولات

وأقاليم الرؤيا؟

عندئذ...

انتبهت السيدة إلى كلام السيد

وأخذت تقرأ بصوتٍ

رحب...

فصل

[2]

ما بين سرتي وجسمي روضة واسعة

لا يعرف مداها أحد إلا بي

فخل عنك وتخل عني
فهل تعرف أيها السيد لماذا أتخفى عنك بالليل والنهار
ولا أنكشف إلا لي؟
قمصاني هي الماء
ولغتي هي الأرض
وما بين كل قميص وقميص مسيرة ألف عام من الموت والحياة
فكيف تصل إليّ أيها السيد وهي بعيدة
لا يبلغها السائرون إلا نياماً
بعد ميتاتٍ كثيرةٍ
وحياتٍ غالبيةٍ.

فصل

[3]

ما بين لغتي والأرض
أكبر مما بين السماوات والأرض من تفاوت
وكلام هو كلام البرازخ
ولكنك لا تعرف أي كلام هو لك وأي كلام هو لي
فلا يفك رموزه إلا أصحاب الضحى والليل
ولا يقترب من شفرته
إلا أولو العزم من الأخلاء والأصفياء ومن أذنت لهم
من أصحاب الحاجات من العشق
وطلاب الموت الحميم.

فصل

[4]

هذه سبيلي:
سهر بالليل ووجع بالنهار
إلى أن تقوم الأرض من قيامتها وما أنت بقادرٍ على أن تؤدي لي
ثماني حجج فإن أتممت عشرًا فمن عندك
وها أنت ذا باخع نفسك على أن تراني

فهل لك في حاجة أخرى
ورغبة دفينّة أوّديها لك
فلن تراني قبل هذا ومن بعدُ إلى أن تموت
ويخيم على الأرض الظلام
وتنشق الشمس والقمر
وما أنت بصاحب لي .

فصل

[5]

فعلى أي شيء تترقب وصولي من سفرٍ هو النصبُ
وهذي هي العير قد أقبلت
وما لك فيها من صاحب أو غلامٍ
فننظر إليه أو نسأله ؟
ارجع إلى أهل بيتك كي يكفلوك فلا حول لك في هذا
ولا حول لي

فقط

هي أحوالي

ومقاماتي أتقلب فيها كيف أشاء
ولك فيها من العذاب بقدر ما لي فيها من النعمة
فبها وعليها أترقى درجي
وأصعد منعطفاتي وبروجي
إلى أن تبلغ مني الروح الحلقوم
وأمضي إلى بلدٍ

قفري

فأنصب خيامي

وأعلن على الملأ نبأ استشهادي
وأقيم صلواتي وأقدم أدعيتي وأذبح قرابيني
إلى أن تشقق الأرض ويتفجر منها الماء
وأجمع الشمس والقمر حولي .

فصل

[6]

لكلامي شبهة المحبة
ولجسمي غواية الشياطين
وها أنت ذاهب نفسك حشرات ما بين شبهة المحبة وغواية
الشياطين
ولا تفتش في الأرض إلا عن قيامةٍ أخيرةٍ لي .

فصل

[7]

هأنذا أنظر إليك فهل تتعقبني أيها السيد:
اخرج من تابوت الجسد
وأزح غطاء جسمك عنك ولا تكن كصاحب الحوت
وتوقف أمام كل امرأةٍ فيَّ
فإن استقر الجسد مكانه
وثبت الحال على الحال
وانعقدت أطراف الموت الحمراء بين تراقيك وترائبك فاخلع
نعليك إذن
واخرج من تعبك ونصبك
إنا رادوك إلى أهلك في أدنى الأرض
كي تقر بهم عينا
ويقرؤا بك عينا
ولتبدأ من جديد موتاً متكرراً جديداً وسهراً تعباً
وأنت بأعيننا فلا تخضع ولا تبئس
وقف ...

قف

إلى أن أخرج عليك بطوفان أسمائي وشاراتي
وأنعقبك في كل واد تقيم فيه
وعند كل جماعة تحل بها ضيف سفر وعابر سبيل
إلى أن أتم نعمتي عليك وأهب لك لحظة واحدة لا تدخل في

عدد السنين والحساب
وهي هي ليست من الزمن في شيء
فلا هو موصول بها
ولا هي موصولة به...!!

فصل

[8]

أليست هذه رغبتك أيها السيد إذن؟؟
هكذا ذهب السيد إلى حال سبيله
ومضى...

لا يعرف في أي بلد هو
وأخذ يقطع الليل في النهار ويقطع النهار في الليل
وقال في نفسه:

سأنتظر سفينة أخرى
لتحملني إلى امرأة بعينها
فلم كانت المرأة إذن علامة على السهر والحمى؟؟
وكلما مر على أهل قرية وأراد أن يضيفوه أبوا وراحوا يرمونه
بالحجارة

ويطردونه من بلد إلى بلد
ويطلقون خلفه الكلاب الضالة وقطط الظلام الهرمة النهمة
فتنهش عظامه ولحمه
وهو يهشها فلا تهش وهي تتهارش من حوله وتزوم ويطردها
فتطارده

إلى أن دمي الجسد وابتلت العروق بالوجع
والظماً.

فصل

[9]

ورأى:

أن ممياواته تسير من خلفه على حجارة الأرض
جشاً جشاً وهي تصايح

فكيف يهرب من الوجع بالحمى ومن الحمى بالوجع
والبحر ليس ببعيد عن هنا وهو نائم ويقظان
ورأى:

رجالاً كثيراً يكون ونساء يطوقنه بمناديل الفرح
والوداع

أيها السيد: أين دار السيدة؟
أيتها السيدة: أين هي دار السيد فننزل إليها ونحتمي بها؟
انكشف ستر الجسد إذن
ولاذ كل من السيد والسيدة بالفرار إلى أرائك النوم الحمراء
ومملكة الحلم الرحيم
وبقيا حتى ساعة
متأخرة
يتقلب كل منهما على فراشه
فوق شراشف المحبة
وعناقيد الرغبة المحتدمة.

فصل

[10]

وانطلق حديث دافئ يعلن عن بدء وصول السيدة إلى
حافة النوم
فخلع السيد أعضائه عضواً عضواً وانخرط في بكاء مر
وانخرطت السيدة في لهو ولعب وزينة
إلى أن انتبه السيد إلى الوقت
فتشاغلت - عنه السيدة - بالحلم
وهي تشير إلى جثث الذاكرة أن تدخل طقس الرؤيا
وإلى الجسد أن يتخفى في سراويل النعاس الفضفاضة
هكذا امتلأت السماء بالسحب وأراقته ماءً على الأرض
بقدر

وغلقت السيدة الأبواب وقالت:

هل تريد أن تراني أيها السيد؟

فصل

[11]

أنا أقرب إليك منك
وأنت أقرب إليّ مني فما هو قولك
وعلام تقلّب علينا أهل بيت لنا وكل من يقابلك من صحبي
ونداماي
وها هم أهل بيتك يضحكون ولا يكون
وهمو ينظرون ما أفيء عليهم من محبة
وما أجزل من عطايا ومواقيت
آن للجسد أن يلتحف بعرائس النعاسِ الفضفاضةِ
وللنعاس
أن يلتحف بعرائش الجسد
فيسلطنه...!!

فصل

[12]

لمرمر جسمك أبدأ تذكرتي بالسفر
للمسافة مطوية في قميصي
أنحلُّ بارجة من بخارٍ قديم
فأبحر صوب الشواطئ والذاكرة
إنها لغة الحلم تشرق بي
من أول الصبح حتى حدود الضحى
وتقيم الكلام على حجر ناتئ وتصاوير من زبد فارغٍ
لتقيس المسافة بيني وبين ممالك جسمك
بينني وبين ممالك جسمك أرض بعيدة وهذا دمي...
يتربصُ
أو...

أصطفيه من النار والماء
أجعله قبضة في يمينك
والأرض خاتم عرس أسويه بين يديك

وأنسجه من رماد السماوات والأرض شعلة ضوءٍ

مبللةٍ

بالترائبِ

والرغباتِ.

فصل

[13]

افتحي جسد الحلم

وامنحي الذاكرة بهاء التخیلات والرؤى وصلابة التلاشي

وكوني إذا أخرج الليل أثقاله حلة ترتديني

وترتدي بي

كي أجوس خلال الديار

سأمنح صوتي بهاء الكمالات من جسد مورقٍ وأراضين

تغسل وجه النهار بأول حرف من اسمي

وآخر حرف من اسمك

اسمك: سيدة الأرض

واسمك:

جوهرة السماوات.

فصل

[14]

على بابك الملكي افترشت دمي ثم أولت ما يكتب الرمز

وما لا تقدر عليه لغة الإشارةِ

من معنى هو الحقيقة

وحقيقةٍ كأنها الحلم ولا شأن لي

خذي من جسدي وكلماتي ما يتعب في تأويله علماء الكلام

وأساطين الحرف

وهمو غير قادرين عليه

واسألهم... سيداً

سيداً

ورهُطاً

رهُطًا

عن هذا الذي يقول ما يقول وبأي لغة يكتب ما يعرف وما لا
يعرف
ولماذا يتقول علينا بما يعرف وما لا يعرف وما لا طاقة لنا به ولا
قدرة لديه على احتمالِه
ووصفه؟!

فصل

[15]

لن يجيبوك بشيء مما يعرفون ومما لا يعرفون وسيقولون:
ابعدوا هذه المرأة عنا
نحن نتصعب من تعبٍ وعرقٍ وهي تضاحك علينا
فبيننا وبينها ثارات قديمة
ورحى حرب لا نخرج منها إلا منكسرين
ومتسربلين ببقايا الدم
وخرائب الجنازات
وهناك قتلى وأسرى لا نحصى عددهم ولا هم يرغبون
بيننا وبينها أرض شاسعة لا نقدر على عبور مهامها
لا بالليل ولا بالنهار
ولا هي نائمة
ويقظانة
فخلع السيد أعضائه عضوًا.. عضوًا وانخرط في بكاءٍ مرٍ
وانخرطت السيدة في لهوٍ ولعبٍ
وزينةٍ
إلى أن انتبه السيد إلى الوقت
فتشاغلت عنه السيدة بمراقبة عشاقها
ولغة حوار بينها.

فصل

[16]

أوليت نفسي غواية تأويل حرفين ك.... ن...

كنت ناراً على قبة الوقت
آويت جسمي لجسمي ادرعت بشمس الضحى
عيونك منقوشة كالفراش على جبلٍ شاهقٍ
كيف أصعد نحوك أيتها المرأة الشاهقة
كيف أخلع قفاز جسمي
وأعلن للماء أني استويت على الأرض أغرس فيها جحيمي
وأبحث عن جنتي
... ليس لي غير قيظ اسمها...
وخطاي خطي تتعثّر في شجر العرش
والملكوت
وكيف أدثر نفسي بوقت هو الوصل
لا تبعدي عن خطاي إذن
نحن اقتربنا من الأرض
ها هي ذي تتلفع بالموت والرغبات الأثيمة
ها اثنيني على جنةٍ عرضها السماوات والأرض
كي أتبوا فيها مكاني
وأشعل بعض خطاي
من أنت؟
ومن أنت...؟؟
فصل

[17]

بيننا: تسكن البلاد وتزدهر صناعة الكيمياء القديمة وغناء
الفلاسفة

ولا نعرف غير اللهو
واللعب وتفاخر المودات والنسب الكريم
ولا يكون لنا غير أصدقاء حميمين نتفرس في وجوههم
فنعرفهم بسيماهم
ونتقرب إليهم بالليل والنهار

فيتقربون إلينا بالمحبة والكلام الحسن
وليس لهم من حديث سوى حديث الغناء والطرب
فنشرب إلى أن تبطل العروق ويذهب الظمأ
وننتقل من واد غير ذي زرع إلى واد غير ذي زرع
ليله كنهاره
ومن أهل بيت إلى أهل بيت
فلا ندرك تكور الليل على النهار وتكور النهار على الليل
وإنما هي حركة موصولة وحياة دائمة لا تكاد تبدأ حتى تنتهي ولا تنتهي حتى تبدأ
وما بين الموت والحياة تحولات أخرى وأزمنة ضوئية لا تدركها
الآبصار ونحن بها فرحون
هكذا تكون المحبة أيها السيد
وهكذا يكون رباط الوصل أيتها السيدة.

فصل

[18]

بيننا: تتوافد الذكرياتُ على شجر الليل في وضوح النهار
وعلى مرأى ومسمعٍ من الليل والنهار يدور حديث دافئ بيننا
فلا ينقطع إلا بغفوةٍ
ولا يبدأ إلا بميعادٍ
هو الحلم...!!

فصل

[19]

بيننا الحركة والسكونُ
وما بين الحركة والسكون علامات..

لأنجم كثيرةٍ
ضالةٍ

في المجرات تفتش عنا
فلا هي تهتدي إلينا
ولا نحن نقول لها:
اهبطي بسلام.

فصل

[20]

بيننا: من أول الخلق إلى آخر الخلق رباط من الذرّ والكلمات
المكنونة المنكشفة
ما لو أطلعت عليه
وخطر على قلب بشر
لوّلى مدبراً وقال لي:
هذا فراق بيني وبينك إلى أي أجل تراه وأي زمن أراه حتى تقوم
الساعة
فأجلس منها مجلس أنسٍ وطربٍ وغناءٍ ورقصٍ ولن أبرح مقامي
هذا

إلى أن تأذن لي
أو أمضى حَقباً إلى حيث تشاء السيدةُ
ويأخذ الزمن أبعاده ومسمياته
فأحمل فراغي على ظهري
وألقى بمتاعي في اليم
فلا أمكث في زمان
ولا أفتش لي عن مكانٍ!!
فصل

[21]

بيننا: من سورة يوسف وأهل سبأ والأعراف
ما لا يقدر على تأويله الفلاسفة وعلماء الكلام
ولا يقترب منه الصوفيون
وأصحاب الكشف والمقامات
إلا بمقدارٍ
لها أحوال النعمة
وله مدارج العذاب يتقلب فيها كيف يشاءُ
فبأي متاهة هو
وفي أي غيابة هي؟؟

فصل

[22]

بيننا: يتخلى الليل عن عاداته وحاجياته
ويواصل السفر والسهر إلى أن يحل في جانبٍ
آمنٍ..
من جوانب السماوات والأرض
ولا يبحث عن قيامةٍ أخيرةٍ
ويقول: بخ.. بخ..
لا رغبة لدي في لعبةٍ جديدةٍ اسمها الموتُ والحياةُ
أنا ثمل وسكران هكذا
يا هذا..

فمن ذا الذي يقودني إلى المنزل؟!
أنت هكذا
وأنا هكذا؟!

فصل

[23]

بيننا: من زليخةَ
وشجرة الدر وبلقيسَ
وامرأة لوط...
ما يخرج بنا عن حدود الكلام إلى متاهة الرؤيا
خلع السيد أعضائه عضواً.. عضواً وتقلب على فراشه
فوق شراشف المحبة
وعناقيد الرغبة المحتدمة وانخرط في بكاءٍ مرّ
وانخرطت السيدة في لهوٍ ولعبٍ
وزينةٍ
إلى أن انتبه السيد إلى الوقت
عندئذٍ...
اندهشت السيدةُ من كلام السيد
ومضت.

القيامة

فصل

[1]

كل خطوةٍ وردةٌ

وكل زهرةٍ

فضاءٌ

إذن اهبط للأرض وأعري الذاكرة

عن حجارة الوقت

وضوءاء الروح

ووعثاء الصعود والهبوط

وعناء السفر

ومكابدة الجسد للجسد

بمطلع الفجر

وانفلاتة العين من طوابع الرؤيا وجوابِ المشاهدة

وثقل الأعضاء

بالأعضاء...!!

فصل

[2]

إذن...

أدخل إلى عتمة الصبح

وأسرج ظهر النهار بتراب الغيمة

وحنَّاء الأصابع المحترقة

وحقائق الذكريات المعشوشبة

على جدران الزمن المثقل بالتاريخ الغُفل

وجماجم الكائنات

ومواجيد الموتى الأحياء والأحياء الموتى

ونقوش الفراغة الباهتة

فوق مراكب الشمس

ومعابد الكهنة..
وبخور العجايز الليلي
وصلاة الأرقاء
ودعوات القديسين والصلبان من الأزل للأبد
فمن يأسر الظل لي
وجوادي الجموح مضى؟!
فصل

[3]

إذن...

أركب خيل المهارى السلالات وخيول الرماد لتمر بي إلى...
عجينة الخلق الأولى
ونطف الشجر الطالع من سجين
ورجع الأرض
ووجع الولادة
وعند برعم الكلمات الواقعة من سنين عدداً في انتظار هجرة الشمس
من الغرب للشرق
وسفر القمر الأزرق من الشرق للغرب
وانهمار مطر اللقاح الأحمر بين
شجر الجوع الأخضر وعطش الكائنات
الطالعة من دم الفجر
وقيظ الظهيرة
وقيلولة الرؤيا
إلى أن تقوم الساعة ويتهيا الخلق لسماع الشهادة
ومعرفة حقيقة
الخلق والأمر.

فصل

[4]

الغيوم تظلل ناقة الليل في وضح النهار

- دمي بينهن أسير -

النجوم على سدرة الرأس أحد عشر كوكباً
والشمس والقمر في وسط الماء والرمل يسبحون وها هي
جنات عدن أعدت للجوعى وأبناء السبيل من كل فج
ادخلوا الآن أرجاءها

وافسحوا للندى يتبطن بين ممراتها وهو يدخل
هذي مماشيتها الصقيلات زُين بالحدور والزنبق الغفل
والعشق يدخل مملكة
ويؤاخي الجسوم الكثيرة.

فصل

[5]

كل خطوة وردة

وكل زهرة

فضاء

وهذا فضائي

المدينة مخبوءة تحت شمس النهار
الأرض واقفة بانتظار المواليذ الميته والمحترقة معاً..

- هذا فضاؤك فلتدخل الآن في الضوء

بعض الطيور يرتقن أطراف ثوبي بأثوابهن

كانت تواتيك في مطر الفجر أبيض.. أخضر..

تنزع عنك ثياب الرقاد وتفتح محرابها النبوي أمامك

ادخل الآن ثوب التراويل فوق الحوائط

والليل من جمرة

كان أخضر...

فصل

[6]

كل النيازك مخبوءة في قميصك

بحر من العشق والريم كان الفضاء البهيج

الملوك السكارى إذا دخلوا قريةً
أفسدوها
وجعلوها جثثاً من الرماد مبصرةً وغير مبصرةٍ
وبركاً من الدم والوحل
لا يُعرف له أول من آخر
ولا بر من بحر...!!
فصل

[7]

وها هم الآن حولك قرب الحوائط
يمدون أيديهم إلى الماء فلا يلمسون قطرةً منه ولا يلبثون إلا
ساعةً من نهارٍ
ويولون الدبر
وجوعهم يسعى بين أيديهم ناراً
وقهرهم
باسط ذراعيه بين أرجلهم وعليهم نار مؤصدةٌ
وفوقهم ملائكة سودٌ
وعبيد يضربونهم بالسلاسل
فترى أعينهم تفيض من الدمع حزناً
وهم ينظرون
فلا يُسمع لهم صريرٌ
ولا هم ينقذون.

فصل

[8]

شجر يطلع من طور سيناء...!!
المسافة اشتهاات من الفضة والضوء
أرض بالغة الخضرة والورد
الطيور على أعتابها شجر الضوء والبرق ترقد واجمة وممزقة في
التراب الحي

والندى الوقت
وهذه هي خمائر من اللبن الفجري
تنزع من فوقها ريشها تحت شمس الظهيرة
والمدى القلب.

فصل

[9]

راحت تنقر الوقت
وتحكي عن نهارٍ كريمٍ وسماواتٍ مبللةٍ بمحاذاة الولادة
المطر الأحمر الساقط كالعهن المنفوش
الزرايبي
جميزة من فوقها يأكل الطير، والليل
النجوم ندى يتكسر من تحته الموج من فوقه الريح
ترقص بلا ضجر ولا استواء
ولا رهبة، ولا مودة...
أنا خائف أترقب

- والفضاء صنوانٌ وغير صنوانٍ
آيته جتان من نخلٍ حَفَفْنَاهُمَا بِنَهْرٍ
وجعلنا بينهما قتلى
وأشلاء جثث
وعظام حيواتٍ
أكان له ثمر؟؟

فصل

[10]

هجرته رطوبة الذاكرة وخيانة الوقت والأرض
فسكن القلب وخرائط الجسد وكل أولئك كان عنه مسؤولاً
وأرخ تأريخاً جديداً لجسده المصلوب بين فضاء الكتابة
وحداثق الدم المتناثرة فوق كل ذرة
وكل نائمة.

فصل

[11]

علامته الفوضى

وعلامتها القيامة

وما بينهما شجرٌ لا يخرج من الأرض

ولا ينقطع له ظل

أو ثمر

كتب نفسه على شقائق الموت

وكتبت خرائط الفوضى على جسده تاريخ القيامة

وبداية المعرفة

واعترته سوانح الخواطر

فخط على التراب المملوء بالبحث

والعظام النخرة

حرفين مشتبهين

مثل الألف والسكون

ك

ن...!!

فصل

[12]

كان الفضاء

وكانت سلالمة القيامة

وشهقة الجذور

وطوارق الليل

هجر فضاء الألوان

واشتجر مع الليل والبحر والناس نيام

كانت السماوات سراويله

وشمسها البالغة الخضرة والورد

فهل من أحد يعرفكم فيها

أو يعرفها فيكم

وكانت هي الماء واجتلاء الوقت بالوقت
وهي هي اشتباك الريح بالريح
والجسد الحي بالجسد الحي وانفلاق الحبة بالحبة
والنار التي توقد من شجرة زيتونة

مباركة

يكاد زيتها يضيء...!!

فصل

[13]

كل خطوة وردة

وكل زهرة

فضاء

ها هو ذا جسدي فادخلوا عرشه وسبحوه بكرة وأصيلاً...

ابنوا ممالككم تحت عرشي

وكونوا له خاشعين

اعترتني رعدة البدن

ومفارقة الأعضاء للأعضاء

والشمس على سرّة جسمي تتفتح أسرة

وتنفرج تويجات

ويأتي النوم فلا يكاد يعرفني

وأتى إلى الصحو

فلا أكاد أدركه!!

فصل

[14]

وها هو ذا رحم واسع بحجم الأرض والسموات

تتسلل منه السلالات وشائج القربى

وكان الطير أخضر

والغزالات سابحة في الفضاء الغويط وما بينهن دُمى وقطاف

من السنط

وجميز العطش

وحداثق الزقوم
اقتربت الساعة وانشقت الأرض حاسرةً ثوبها
المملوء بجثث الخلق
وخضراء الدمن
ودود الخليفة
وسحب الدخان الأزرق والأبيض
وفوضى النهار المملح بجذوع النخل
وحداثق الجنازات.

فصل

[15]

هل تأخذني سنّة من النوم وغلبة الحال
فتأتي السيدة متلفعة بهواجس الامتلاء
وشقائق النعمان
وأجنة الزهر ونزوات البرق...؟؟
هل تأتي السيدة التي
قرطها من دماء الشموس الصغيرة والأنجم الزهر
والخلاخيل براقه
ودمي فوق أعرافها سائل
مثل نهر من اللبن السائل المتخثر
والحمرة السامقة.

فصل

[16]

كانت الأرض نواره
والخلاخيل معقودة في حمى الطير
والناس يومئذ ينظرون...
بين مصدق
ومكذب...
والشموس الصغيرة من غضب الرؤية وهواجس الاحتمالات
ترسم أشجارها اللؤلؤية

ومواثيقها
الأرضُ
والكائناتُ.

فصل

[17]

(أ)

كل زهرةٍ من دماءِ الشُّموسِ
الخلاخيل منصوبةٌ بين جرحين
والماء جار على فلكه الكائنات
وكنت أنا الشاهد الميت الحافظ الآن أسماءهم ومواقيت
أوجاعهم

والنجوم اجتاحت بكارتها
ودخلت وحيداً إلى عرشها وممالكها النيرات..
تهيأت للموت

أو للشهادة والصحو
همو ينظرون دمي قطرةً.. قطرةً
فوق أوراق عشب الحدائق
خوّضت في الماء والماء
جاءت دمائي مزركشةً
وطيور الحدائق مغروسة
في فضاء البراعم.

فصل

[18]

صبارة تنبت الآن في رحم الأفق...!!
لهم عرش الرحمة
ولي ملكوت الشهادة
لهم غرف بحجم السماوات والأرض
لا يدخلها الفقراء وأبناء السبيل والعصاة من كل فجٍ
والتائهون في ملكوت أجسادهم الضيقة

وأوجاعهم الرحبة..
وفيها مقاعد للسمع والطرب
ومواقيت للبكاء
والسهر...!!

فصل

[19]

(ب)

دخلت الأرض دورتها
والنساء افترشن قميص الشموس المزركش بالبحر والليل
والخضرة الشاهقة
انعصرن أواصر من شجرٍ
وأراكٍ..
وكانت هي الأرض نوارهً يتعمد فيها النهار
اليواقيت في بطنها
والنجوم على صدرها جثث
وعظام وأودية
ونخيلاً على ظهرها أوراق الدم
ماذا تريد؟؟
مددت يدي...

قطاف من النار دانيةً وجسوم من الملح تورق في الأرض والخيل
كانت على حافر تتواشب
والشرر الريحُ
منغلقات فتوق السماوات

من يرتق الأرض في شهوة الماء والضوء؟؟
فصل

[20]

(ج)

فوق أعتابنا ترقد الشمس محلولة الشعر
أرخت ضفائرها المستشزرات على جسدي

وطيور النوارس مصلوبةً
فوق قلع من الريح والبرق
وامرأة

يتراقص بين ضفائرها المستخرجات من البحر والليل سمك الماء

حناء ألوانها
الصباح والليل
(قدت قميصي...)

طفل من الماء يخرج رجلاه من قصب الضوء
والشمس مبلولة في قميص النهار
ترائبها قاصيات دوانٍ.

فصل

[21]

أكانت قطا الشمس - في الغيم - محجوبةً والرياح المغيرات
معقوفةً

في مدار السماوات والأرض...؟؟
أنا واقف فوق كومة قش وطين
دمي كان يجري كنهر يسيل بلا أودية.. وكنت الرقيب عليهم
أحرق...

أشهد على كل نائمة ودابةٍ ورجلٍ وامرأةٍ وشجرةٍ وتوبجٍ
أشهد على الشمس والقمر
وهما يدوران متتابعين

وغير متتابعين
ولا يشهدان على شيء أو ينبسان ببنت شفةٍ
على الجثث وهي تدخل معراج النفي ودوائر الإعدام وطقس
المواليد

وعفونة الحواس

وشفاعة الرؤيا

من سمع وبصرٍ ولمسٍ وإدراكٍ... إلخ
أشهد على الحديقة وليس بها من ثمر غير الجوعى

والأرضِ وهي ليست برتقالة للأكلين
وليس بها من نهر لمن أراد أن يشرب أو يرتوي
فقط هو الظماً نهاية كل شيء
وكل شيء يلمع كأنه السراب!!

فصل

[22]

أشهد على كل أمة بملوكها وطغاتها وزنازنها وعبيدها وقتلاها
وجرحاها وسجنائها وسجانيها
على الأجنة
وهي تستصرخ الله الذي سواها
- كائنات رخوة -

ألا تهبط إلى الأرض الأكثر عفونة ودموية
على الأرحام وهي تنقبض وتنسبط في الخلاء
لكي تقذف بالأجنة
إلى الأرض البور
قرب شجر الوحدة وبنابات الظلم
وحيطان الخراب
وعمائر الفوضى...!!

فصل

[23]

أشهد على كل دورة
وهي ترج العالم رجا
وتشرهم جثثاً ورمما كأنهم جراد منتشر على أرضة السماوات
والأرض

وما بينهما برزخ من رماذ
أشهد على السماوات وهي تنفطر مدامع وقطرات من مطر أسود
كأنها النعمة

والأرض تنفلت براكين كأنها القيامة
ولا من أح... د... ي... س... م... ع... أو يرى!؟

فصل

[24]

أشهد على الجبال

وهي تضم الشفاه والعيون وعظام العشاق وقتلى المواجيد
على الشجرات العجاف وهي لا تمنح الظل أو تأوي الهوام وشعث
الطيور

على الآدميين وهمو يدخلون قراهم - في الظلمات - حتى إذا
أخرج أحدهم يده لم يكدرها يكاد البرق يتخطفهم
ظلماتٌ بعضها فوق بعضٍ
ويتلصصون على النهار من فرج البيوت وستائر النوم
الرجيم

ويفركون أعينهم بوجعهم خوفاً ورهباً
تحسبهم أيقاظاً وهم رقود
وخوفهم في قلوبهم شجرةٌ من مسدٍ
وإذا نودوا في الظلمات
يتحسسون قهرهم بأفئدتهم ولا يكادون يستطيعون حديثاً
وتقلبهم الشمس ذات اليمين وذات الشمال
فإذا هم كأعجاز نخلٍ خاويةٍ
لا ينظرون على الأرض أكانت مخضرةً أو غير مخضرةٍ
والسماوات تنبت بالدهن
وعين للآكالين...!!

فصل

[25]

كل خطوة وردة

وكل زهرة

فضاء

وماذا إذا أدخلوني زنازئهم وممرات هزائمهم وانكساراتهم
وغلّقوا عليهم الأبواب
وسدوا منافذ الشمس والنجوم والليل والقمر

وأصبحتُ معلقاً بين الأرضِ
والسماءِ
لا من طائر يكلمني
ولا من شمسٍ تدلني عليَّ
أو قمرٍ يزورني كل يوم خمس مرات.
أشهد على نفسي بالوجع وعلى غيري بالمحبة عندئذ
انظر كيف أغتسل والورود بعيدة
وشقائق النعمان لا تغطيني
وكلما أهم بالعصيان يجذبونني
إليهم بالانكساراتِ والقهرِ.
فصل

[26]

أصنع وردة مخضرة من شراشيب دمي
وأعلق في رقبة الريح أوراقها ورقة... ورقة... وأجعل على
كل جبل منهنّ جزءاً
فمن يدخل الآن بيتي
حرائقه

بالحروفِ وبالصباحِ مزدانة؟؟

فصل

[27]

مزمور
انفتحت أسرة النوم
وانفجرت أسارير القنوط
أقعد تحت ورق الموت وأبكي بكاءً مرّاً فلا أرى أطفالاً ورياحين
وزيداً أخضر يخرج من طور سيناء
لا تدركه الأبصار ولا تصل إليه الأذان
والسماء تويج يحترق
والأرض سلة من الخبز المتعفن
وذبابه تغرق في وحل المجرة

وتمتلىء بالأوبئة
وجرائم النهار والليل.

فصل

[28]

قلت أخرج عن هذه الأرض
لعلي أعثر على الماء والظل
أو أجد على النار هدى...!!
سوف آتيكم بقبسٍ من جوع الأرض
وحداقٍ القتل
ومشاةل القنص ورمل الخوف
وشجر النجوم المحتضر فلا تنظروا إليَّ ببلاهةٍ ودهشةٍ
(كأنه الطوفان..)
سوف آتيكم كذلك بأزهار الجبال الذابلة
وحجارة السماء المحتدمة
المتواطئة.

فصل

[29]

ومشيت طويلاً تحت غيمةٍ وحيدةٍ منكسرةٍ
وكانت السماوات تتفجر بالبرق والرعد
وأنا في قلب المعركة
أحصي عدد القتلى
وخرائط الجرحى
وأعدُّ آهات الثكلى
فلو أن ما في الأرض من شجرةٍ أقلامٍ وأوراق الشجر دفاتر
والبحر مداد
ما نفذت شهادات الخوف والفقد
والملائكة فيما بينهم يتقاتلون من أجل زهرة
والنوم تحت ظل توبيج
والله

ممسك بزمام الكون لا يريم
ويضحك من بلاهة البشر
وحماقة الكائنات

وسخط الملائكة الصغار والكبار على السواء
ويزأرون زئيراً شديداً فتزلزل الأرض منه
وتنهدم الجبال فتصير هباء مندكاً
ويساقط الأطفال صرعى كأنهم أعجاز نخلٍ
خاوية

ويطلبون الماء فلا يجدونه ولا يلمسون سوى رعشة الهواء
الأبيض لرعشة الهواء الأبيض
وتحسس الجسد الشبق للجسد الشبق
وملامسة العضو للعضو
على أسرة الفزع والهول.
فصل

[30]

وها هو نمل يزحف مثل جيش بلا ألوية...!!

فركت عيني
فرأيت ما لا عين رأت
شظايا من الشمس تخرج
وحجارة تطاير في الهواء
والأرض تتمرغ كامرأة عجوز في وحل الحيز
وحمل النفاس الأسود
ومخاض الولادة
وجماع الكائنات المنفلتة من أسر الموت... والخوف
والنخل يأتي صفوفاً.. صفوفاً
متهاكّة
وغير متهاكّة

فلا أكاد أعرفه ولا يركن إلى ذاكرتي وموائدي المتناثرة على سرة
الأرض

ورحى الشمس الدائرة كدوامة
رعب وفزع وخرافة
ويأتي إلى حجراتي متأخراً
فأطرده منخللاً
وخائناً
والحشرات بشراهة تأكل وتشرب
من جثث الخلق
وأعضاء الجنس
والتوبج ضد التويجة تتقاتل
وتشهر سيفها المصقول
ثم تغرسه في جذر الهواء
فتساقط قطرات الدم
ماسحة وجه الأفق
ويبكي إله في وحدته
وتنفجر صرر الماء على جزائر الأرض الممتلئة بالشهوة وخميرة
الخضرة
ثم تخلع زينتها وتنكفى على قفا الذكريات الجريحة
وملوحة الزمن
تشاءب
فلا تجد غير الوجع والرمم وآلام الطلق
فتتأكل الأعضاء عضواً عضواً.

فصل

[31]

كانت الريح أرجوحةً
يعتلي الطير هاماتها
والشموس الكليلة في ذيلها الضوء والدم يختلجان على حافة
من جنائن خمرية
في منازل قلبي الأثيم
النخيل به جنة

هل يدلي قوائمه ثم ينشر فوق العشبات ألوانه الداكنات ويلفح

ريح المفازة

والقنفذ الحجريُّ يعري سراويله

بين شعث الجبالِ

وصفر الشموسِ.

فصل

[32]

حتى إذا أخذت الأرضُ زينتها وزخرفها

وتكحلت بشارَةَ الصمْتِ الأسودِ وشمس النهار المنجردة ووحل النطف

الميتة

وعظام الأدميينَ

وما يخرج من بين الصُّلبِ والترائبِ

وظن أهلها أنهم قادرون عليها

أتيناها نهاراً

على شهبٍ من خيولٍ سهوبيةٍ وغير سهوبيةٍ ونمارقٍ مصفوفةٍ

يكاد البرق يتخطفها وتكاد تحترق ولو لم تمسسها نارُ

ويكاد دمها يضيء من رجفة الزلزلة وغرابة العصفِ.

فصل

[33]

وكلما أتت غيمةٌ

وأفلت نجمةٌ

استيقظت ملائكة الحلم

وهبطت إلى الأرض خفيفة... خفيفة... تتوآب ذوآب قلبي الكليم

فتبين موطئ النعمة

وشقائق الجنات والأنهار

وفتحت عيني على قطيفة النوم الفسفورية

وتمائم المشاهدة

وماء الحدقات الرحيمة يعلو ويهبط

فإذا نحن خامدون

وإذا هم يتدافعون حول خمر المواجهين
وعطايا الذاكرة
وموائد الأكل والشراب
تحرصهم أبراج من فضة وقلاع من ياقوت ومرجان
ونورهم يسعى بين أيديهم فسألهم:
لمن كل هذه الأرض؟؟

فصل

[34]

الشجر الطالع بين الوريد وفضاء الوريد
علامته الفوضى
وأوراقه الفيوض...!!
لمن هذه الأرض
النخلة القائمة على سندس الوقت
وفوق حواف الترع الجافة؟
الأنهار القائمة التي لا تنبع إلا مني ولا تصب إلا في؟
لمن هذه الأرض؟

والكواكب التي انتشرت...
لمن كل تلك الرجوم التي تنبت على رأس كل طفل وكل شجرة وامرأة وتويع
وها هو حليب السماوات نار
والخطيئة آية الخلق وعجينة التكوين
فبأي خبز من النار يأكلون ويشربون
وتتناسل السلالات
وما أظن أن تبيد هذه أبداً!!

فصل

[35]

لمن هذه الأرض؟؟
والمخافة التي أعرفها ولا أعرفها امرأة بهيجة الطلع وحسنة الجسم والقوام ولينة
الأعضاء والتكوين
والناس بين مصدق لها وبين مكذب...

وهمو جميعاً ينظرون إليها
وعلى بابها الحجري المعلق بين قبة السماء المشتعلة وقمر الأرض
المنصهرة

يقفون صفوفاً... صفوفاً
لا تبدأ ولا تنتهي
وهكذا هكذا إلى أبد الدهر...!!
فصل

[36]

لمن هذه الأرض؟؟
أو كلما أردت أن أدخل من باب أو أخرج من آخر
وجدت عليه حرساً شديداً وشهباً
وملائكة شدة غلاظاً لا يسمعون نحيلي وطققة أعضائي
واختلاجات جسمي
وكلما أردت أن أقطف من ثمرة
أو أنحزم بحزام الشمس اللماعة كان القاع صفصفاً
والناس نياماً فإذا ماتوا انتبهوا
وكلما مرت غيمة دعوتها إلى مائدتي
وأقمتها على جثتي سنين عدداً
وأردت النزول إلى حافة الماء
غاض الماء
وقضى الأمر...!!

فصل

[37]

أنا

تائه أتفصد عرقاً وأتصيب رعداً شديداً وفرقاً
أراود نفسي عن الأمر والأمر
وأتلو سورة الكرسي وأحمل فوق ظهري أجنة الحلم وعناقيد
الغضب المشتعلة
وأحاول أن أرفع مجرة السماء تتساقط

أشلاء وجذاذاتٍ
فيهلك الحرثُ
والنسلُ...!!
كل خطوةٍ وردةٌ
وكل زهرةٍ
فضاءً!!

فصل

[38]

الهوامش

(1)

هي الزهرةُ الآن أدخل بين ممالكها
وأمدد جسمي الكليل الكليم
وأشرب من جرة الحلم
أقطف من جمرة المستحيل
الورود لظى والشموس - لظى - والعيون الأسيرة بالحلم كانت
لظى يتفجرُ
أو يخرج الورد من بين أطرافه ميتاً
خائفاً يترقب
هل كنت أنظر؟

فصل

[39]

دمي كان أخضر والمطر الطير
هل مرت الريح مغسولةً
في فضاء دمي
والظهيرةُ محلولةً في قميصي؟!
من أدرج الريح تحت ثيابي
وأدلج في الليل هذا النخيل
وأخفي البروق بجسمي

وعلق فوق ذوائب شعري النجوم؟
هي الزهرة الآن أدخل بين ممالكها
وأمدد جسمي الكليل الكليم
أكانت شقائقها كالدهان؟

فصل

[40]

كانت الريح مصقولةً بالعصافير في مطر الفجر
والأرض مغسولة بغرائز أعضائها
والشموس عليها سوار من النارِ
قبرة

وملاك يضمّد بالورد جرحي
ويطلقني...

في فضاء النهار..!

فصل

[41]

(2)

شجر في تراب البلاد الندي ثوبه
والمدى خيمة من غبار
كيف جاء إلينا؟
واتشحنأ بألوانه
فالفضاء جرحه
والسماوات من عرشه المستعار؟؟
اركبي فوق هذا الرداء
- انتزعت سراويله من طقوس الرمال -
ناقتي كانت الريح
والأفق قافلتي والشموس دليلي
فاقطني وردةً من قميصٍ دمي
وردي على الأرض بعض الرداء!!

فصل

[42]

... اقطني

واغرسى نجمةً في سمائي
وكونى إذا أقبل الليل معبودتي وجحيمي
- امنحيني على الرمل
شكل الفضاء -
شجر في تراب البلاد
أكان الندى

ثوبه

والمدى خيمة من غبار؟؟

فصل

[43]

(3)

جسد يفصح عن حقلٍ مملوء بالحنطة
والأشجار
امرأة

تجمع جمار النخل

وتلقي لفراشات الضوء

شقائقها

هل من رجلٍ يعرفها

في هذي الساعة من غزوات الليل؟

طفل يتوضأ تحت ينابيع الشمس

ويقطف ورد الأنهار

ويحلم بسكيتته

هل من أحدٍ يعرفه حين يهز الصبح الأبواب؟

هل راود نخل عشاقه

أو قام إلى جنب مرديه؟؟

فصل

[44]

قمرٌ يرقد تحت الجذع
ويرسم تحت السرة شكل امرأةٍ خضراء تكون بلاداً وسماواتٍ

جناتٍ

وأراضينَ

وتفتح نهراً ما بين السرة والأشجار المتطاولة

على جسر النهرِ

ونهرأ

ما بين الأشجار المغروسة فوق السرةِ

والأحجارُ

من ينقذ قمر الماء؟

ويحمل عن بعض العشاق مواجدهم؟

فصل

[45]

هذا النخل الراقد بين الجنيات ومطر الليل الأحمرِ

كان الجسد الطيني نخيلاً وعيوناً

يتفجر منها الماء...

قمر يلقي بتحيات الوقت إلى الأجسادِ

وجسد يلقي بتحيات الأجساد إلى الأجسادِ

فهل من أحد يعرفني فيهم

أو من أحد يعرفها في؟؟

فصل

[46]

(4)

زهرتان تشرقان من عينيكِ

والحروف دمنّةٌ

على الكلام...

والمدى شجيرة تظلل المتاه

هل رأيت نارك التي أشعلت في الظلام
أم شربت من معرة النعمانِ
كأسك الحرام؟
فارتويت...

وانسللت من خبائها
تريق قطرةً من السواد
فوق ثوبها المدهون بالعظام
والدماء

فصل

[47]

والحروف أمةٌ
تؤمها في كل ليلة ويسهر المداد في عروقتها
وأنت قائم تراود الكلام
عن كينونة الكلام
تمسك الحروف أن تميل
عن غيابة الحروفِ
والسؤال...

فصل

[48]

هل أذاك ضوءها في وحشة الظلام
أم سكنت خلف بهجة الرؤى
دجنةً
تسح ماءها سدى على الرمالِ
أو تويجة - وحيدة - في غمرة الصحراء؟؟
أأشرقت بنور شمسك الخضراء غابة الحروف أم صليت في
متاهة البشر؟؟

أأورقت عيناك

حينما توهج الظلام

خضت في دما الكلام

أم رأيت وحدك الحروف أمةً
تطلُّ من وراء قهرها
فصل

[49]

وأنت بين الماء والصحراء تائهة
تكلم الكلام عله يصير وردةً
وتعصر التراب بالتراب
من أدراك أن الورد في نهاية الطريق والمياه
تحت أرجل الخيول؟
هل رأيت وحدك الحروف أمةً
وأرؤسًا
مiale

في معطف الرياح
أو مغروسة في مقبض السيوت
والجسوم خرقة
من الردى؟!
فصل

[50]

وأنت قائم بالليل في المحراب
تفصّل الكلام
بالكلام
أو تداهن الحروف بالحروف
أم تفتش النجوم عند يشرب
وتضرب الرمال بالرمال
أم ظللت في سكونك القديم كالإله
تراود الكلام عن كينونة الكلام
تمسك الحروف أن تميل عن غيابة الحروف
والسؤال

والمدى شجيرة تظلل المتاه...!!

فصل

[51]

(5)

شمسٌ ويواقيت
امراً تغزل من عشب السرة
شجراً أبيض
وسماوات
ونهارٌ يتفصد عن رغبات حارقة
ومسرات
زهراتٌ بيض
يطلعن عرايا وخفيفات
فوق الرمل المبلول الناعم ويحاورن القمر الصيفي الأبيض
ثم ينمن إذا انتصف الليل
وأخرج آخر نجم
شطآنه

فصل

[52]

جبال تغرق في هدأتها
- قائمة
كالأطواد
يمامات خضرٌ تغدو طالعةً من بين جلايب الماء وتمرق من فوق
حدائق قلبي
وسماوات
دانية
ترسم بالكحل عليها
لونَ امرأتي
وحبيباتي
جسدي يفصح عن رغبات
لا حد لها.

فصل

[53]

(6)

سيدُ الضوءِ

يزرع أرضَ المخافةِ نخلاً

وزيتونةً

وكلاماً

المدى زهرةً في يديه والفضاء الحطامُ

هل تكون الفلاة التي بين جنبيه ناراً

يصلى

لريحها أو يصومُ...؟؟

أم كتاباً حروفه من جحيمٍ

وجواباً

عن الجوع كان الفطامُ...؟؟

فصل

[54]

سيدُ الضوءِ

يقطف النارَ حيناً

وحيناً

يزركش الأرضَ بالموتِ أو يشعل النارَ في الريحِ

كي يستقيم الكلامُ

آه...

يا سيدَ الضوءِ...!!

أنت سميتني خائناً

وأنا قد تبعت خطاك

- ... فسلام لك من أصحاب اليمين

وسلام لك من أصحاب الشمالِ ... -

سلامٌ.

فصل

[55]

شجر الضوءً باسطٌ جرحه في يديك والمسافة مطوية في يمينك
والأرض تلك التي
لا تزال كما كانت عليها من الغبار ركاًم
فاقطف النار يا سيد الضوء
وازرع وردةً في قميص الرمال
المعبأ بالخوف
وانثر على الجبال دماك
...- ثم أذن في الناس بالجوع
يأتونك سعيًا
وعلى كل
ضامرٍ ...
يأتين من كل فج عميق
ليشهدوا كسفًا من رؤوس هوت تحت أعناقها
وبلاداً ..

يلفها في النهار الظلام

فصل

[56]

شجر الموت طالع في كل أرض
وعلى كل زهرة
آثام
والرياح اليواقيت موءودةً في فضائك
مثلما تقتضي الأيام
هل تستثير الرياح المغيرات صبحًا
والنجوم
الجسوم
في بردتيك احتدام؟!
أنت سميتني خائنًا

وأنا قد تبعت خطاك

فالشمسُ

كانت طريقي

والأرضُ

كانت سماك...!!

فصل

[57]

(7)

أعرف أنكِ الأنثى

تناوش جسمي المنهوك بالأعضاءِ

والشهواتِ

تنسجني خيوط دمٍ

مفتتةٌ

وتجعل من قميصي الأبيض المغسول بالرغباتِ

مئزرها

ونفس قميصها المنسوجِ

بالرغباتِ

والشهواتِ

تدهسني إذا انحلّ النهارُ الأبيضُ المغسولُ بالرغباتِ

والشهواتِ

هذا الورد يجر حني

فتغمس قطنها المصقولَ

بين دمي

وعطر الليل

فصل

[58]

هذي الأرض ضيقةٌ

وواسعة عليَّ

ولا نزال على صراط الموت معتنقين

قرب شقائق الصبارِ
والصبواتِ
نبحث عن حظائنا المليئة بالوعول البيض
والشجراتِ
في دمننا نفتش عن خطوط الله والأسماءِ
نمسك يومنا المبتل بالمطر الجميلِ
وبالكلام الحلوِ
والزهراتِ
آيةً
وأيقوناتُ...

فصل

[59]

أعرف أن مئذنةً بحجم الريح
أن حمامة بيضاء
تهبط من فضاء الروح
- آيةً -

من الجناتِ
والأنهارِ
تعرض عطرها المفضوح بين دمي
وعشب الأرضِ.

فصل

[60]

(8)

يتوضأ شجرٌ أخضر بين دمي
وسماواتٌ بيض يغسلن عباءتهن على ساحل ذاكرتي
قمرٌ يتسلل في الليلِ
كطفل بريٍّ وينادمني
أتواطأ ضد الأوراقِ
وشجر النخيل وهذا النهرِ

وأحمل صرة موتي مثل القديسين
وأيقونات الرهبان
وأترك فوق سراويل الريح
قياماتي
وأودعكم مثل الملاحين
فتنفجر سماواتي
ناراً أو جنات
فصل

[61]

ويمر يمامٌ مثل الخلق كثيرٌ
أشعل فيكم بعض علاماتي
أمشي فوق الماء
وقطع النار
وآتيكم - محجوباً بالشوك
وبالدعوات
وأسكن فيكم -
فانتظروا أن تجدوني فوق جذوع النخل قتيلاً مغسولاً بالورد
وبالصلوات...!

فصل

[62]

طيراً مصلوباً يعبر بين الورقة وفضاء الورقة
وجهي في المرأة
- أغربة -
ووطاويطُ
جسدي يصبح أيقونات
وسماوات
تنضح بالخضرة والألوان
شموس يتقاطرن نجومًا
وبحيرات

وامرأتي مفتحة
في برجٍ من أحجارٍ أو نارٍ
فصل

[63]

أحياناً تصحو في الليل
فتغرس في لحمي وردةً حنطتها
تمزج ما بين البحر
وبين قطيفات السرة
ما بين السرة
والأيقونات
أفتش في ذاكرتي عن هذا النهر وهذا النهر
وأرسم فوق الجدران
امرأةً أخرى
من سعف النخل
وخبز الفلاحين
وأحجار البنائين
ومن شمسٍ مائلةٍ
فوق جنائن قلبي
وسماواتي...
فصل

[64]

أحاول أن ألمسها
ينفجر الليل شظايا
ومجراتٍ
هل هذي الأحجارُ من الورد وهل هذا الوردُ من الأحجار؟
هل أفتح عيني
أم أغلقها؟
وامرأتي...؟!
وامرأتي...؟!
وامرأتي...؟!

الخضراء أحياناً تسمى الوردية

فصل

[1]

زبدٌ يستعيد استداراته
ثم يغفو على الصدر والبطن والسرّتين
فهل تستريح النهارات فوق انكساراته؟
أم سماءٌ تخيم تحت انحناءاته؟؟
ربما زبدٌ يستريح إلى زبدٍ يستقيم إلى زبدٍ
يتعالى به الموج شيئاً
فشيئاً

يصير امتداداً لشمسٍ تعرش أفياءها فوق صدر من العاج واللوز
تأج

به يبدأ النهر والسهل بعض اقتراحاته
هل يكون سلاماً...؟
نداءً من الروح تشهق إثر اهتزازاته؟

فصل

[2]

خضني اللون

حين انتزعت القميص عن الصدر كانت يماماته تتأجج شوقاً
غواياته ينكشفن أمامي سهولاً
أدخل أم أترأّج؟؟
بان لي البحر
وانكشف الستر

هذا الذي تتغطى به الفستقات اللواتي تفتقن في الخضرة المطلقة!!

فصل

[3]

استرحت قليلاً
وأومأت للجسد البضّ أن يتبعني

كانت زهورٌ تنبت في القلب والراحتين
ونخل يساقط أثماره
حبة.. حبة (كلي واشربي ثم قري سلام عليك..)
ويسقط فوق التويجات تلك التي تتغطى بعطر السماوات
والأرضِ
نار تفك عراها
ونار بها تبدأ الأرض في الدوران
من ...؟؟؟
قلت: وعل يؤم رؤوس الجبال
ويبحث في القفر عن سوسنات
وظبي يطارد ظبية
.. سراب كثيف يغطي سماءً ورمل يطاردُ رملاً
وهذا هو الغور صدرٌ ووردٌ
أكان الرعاء انتهوا
والمضارب خلّت شواغلها
واحتمت بالقبيلة هذى النجوم المغيرات
ليلاً؟!

فصل

[4]

من..؟

استطالت وحلت ضفائرها تحت وهج الشمس
انكشفت لنا والنهار احتفى بالنهار
فمن نبه القوم للسانحات الجوارح؟
أرخت على الصدر والبطن والسرّتين خصيلاتها
فافترقن خيولاً
تطارِد من يقترب
وانثنى الجذعُ
بانت بلادٌ
وحطت شمسٌ

غبار أتى من وراء السحاب الشفيف وها هي ذي
كان ليل يخيم فوق الجبال
(.. فمن سيعيد انتماءتنا للبلاد التي هجرنا)
وراحت تنكر أشكالنا
فوقنا

أو كنا هجرنا مساكنها
ثمَّ شعب به يسرح الأيل قرب العشيبات
نوقَّ تحت خطاها ورحل يتابع سير النياق العصافيرِ
ريح تحط على هيئة الطير
مثنى.. وثلاثَ ورباعٍ...!!
فصل

[5]

قالت: سلاماً....
فأومأت للركب أن يتوقف
أصغت لها الريح والطير
والشمس دانت لها جنتين من نخيلٍ وأعنابٍ
ألوف من الطير ترقب
هذا أنا أيها الركب أدلف نحو المدائن مزلزلات رواجف
أغفت قليلاً
فأنشد بعض السراة:
(لا تقل دارها بشرقيّ نجدٍ كل نجدٍ للعامرة دار.. ولها منزل
على كل ماءٍ
وعلى كل دمنة آثار..).

فصل

وقفة

[6]

الصفائر مبتلة بالحرّاق والغيم سجاداتان من العشب والورق
الأبيض الداكن
المتراكض تحت السماوات والليلِ

والعينُ

غمازتان اثنتان تحطان قرب النوافذ والبحر
والشمس هذا القميص من الدم ألبسه
والفم والشفتان اشتهاات بعض العصافير في غسق الليل
والنهد - زنبقة - تشرئب على جسدٍ يشرئب على جسدٍ من

زجاج وعاج

وها أنت لؤلؤة بالتويجات مغموسة في غبش الصباح

والعاج

هذا الأسى المترجرج

يهتز أو يتوهج تحت يدي كفقاعة من هواءٍ حميمٍ
وينحل فوق رذاذاً ثقيلاً من الماسِ
واللؤلؤ الحامض المتعصرِ
والنرجسات.

فصل

[7]

وهذا هو الشعر مثل الخلاخيل والوردِ

من يستضيف الرياح له؟!

فالسماوات به يحترقن أساري

فهل أنت لي

مثلما أنت للماء والأرض

والخضرة الغامضة...؟؟

أم أنت كما أنت هذي المليكة

سيدة طلعتها من دمي نابتٌ

بين أرض المسرة والعشق

زاهٍ

نضيد...؟؟

فهل أنت لي يا امرأة؟

آه يا امرأة الخضرة الشاهقة...!!

فصل وقفة

[8]

يصهل الفرس المتوجس حين يطارده البرق
هل كانت الرغوة الجبلية ناراً تراءت لنا من فتوق الظلام
فأنست القلب
وانفرجت وردة
تتطاير أشلاؤها فوق أشلائنا الطافيات على جسد الماء
كنا انحللنا معاً
وانطرحنا على سرة الرمل
كانت طيور من الضوء والفضة المرمرية تعبر
ثم تحلق راقصة في الفضاء البهيج
افترشنا الندى جسداً
والمدى قمراً
يتفصد عن رغبة العشب في الانطلاق النهائي
ثم انطلقنا
وعند الصباحات كانت تظللنا كالحديقة
أجسادنا.

فصل [9]

ربما لم نغب زمناً
أو بعدنا عن الأرض
كل الزمان تجمع في قبضة اليد - مثل الوريقة حين تدحرجها
الريح
قرب النوافذ
أو عتبات البيوت
أو لمت وقتاً فألمت قلباً
وهيأت للزبد المتأرجح - نخلاً به يصعد الضوء سلمه..
فاستراحت خيول

وحطت طيورٌ على ساعد النخل خضرٌ وخضبت
الشمس أطرافنا
فانحللنا كلؤلؤتين اثنتين
تدحرجتا صوب غور المودة
ثم انعصرنا رحيقاً من الماس والخمرة المطلقة
والسمك الأبيض المتوحش...
فصل

[10]

هل كان خيطاً من الضوء يفصل ما بيننا
والنجوم التي تتراءى على ساحل البحر في الفجر؟
أم كان خيطاً من النار يجثم فوق أعنتنا ومدائن أجسادنا
قصباً
- من حدائق مغمورة بالتويجات -
حين تصفقها الريح
والنرجس المبتل
والخضرة المترعة؟؟
آه...

أعنا بنا تتساقط فوق أسرتنا وهوادج أجسادنا خمره
أو كنا افترشنا الندى جسداً يتفصد عن رغبة العشب في
الانطلاق البدائي
ثم انتفضنا
وعند الصباحات كانت تظللنا كالحديقة
أجسادنا؟!

فصل
وقفة

[11]

كأودية من جحيم حميم تهبط المرأة المستريضة في داخلي
ثم تطلق طيراً حبساً وراء الشبايك في غرف القلب تأخذها
برهة

هدأة

وتفك صفائرها المستشزراتِ على حممٍ من جحيمي الحميمِ

فقلت: ائذني لي

فقلبت القلب بين يديها

وكانت حمائمها سافرات

دوانٍ

يراودنني عن دخول الحديقة فوق الأرائك والغيم

وازورت الشمس عن داخلي

فاحترقتُ.

فصل

[12]

لمن كل هذي الشقائق مزدانة بالبنفسج في غبش الصبح

والورد في غسق الليل؟؟

كنت تحسست جسمي

فأزَّ طويلاً...

وفار على ساحل من دخانٍ وماءٍ

ومرت حمائم برية من فوقها الطير يلهو

دمي كان أخضر

وجهها كان أبيض مثل الشقائق في الصبحِ.

فصل

[13]

هذي العيون أساري

الشموس انتثرن حدائق من عنبٍ وأريجٍ

مودتها أم دمي شاهد فوق قمصان أحيائها

وغزالاتها ينتفضن أمامي عرايا

وفوق مشارف جسمي ينمن

وقد خضب العشق أطرافهن فجئن إلى بلا وحشةٍ

فصوبت سهمي لم يستجب لي

وصوبت طاش

وصوبت ثالثاً

- فاستراب -

وحوّم فوق جناحي الكليلِ الكليم.

فصل

[14]

وطارَ

وحطَّ

ارتدي داخلي

فارتدّت..

وأرديني

فارتديت دمي...

ثم قلت: ائذني لي...

قالت المرأة المستريّة:

هيئت لك...!!

هـ

ي

ء

تُ

ل

ك

هيئت لك..

ما أقتلك..

ما أجملك!!

وكأوديةٍ من جحيمٍ حميمٍ تهبط المرأة المستريّة في داخلي.

فصل

وقفه

[15]

أمسك شجرةَ جسمي أن تنهارَ على شجرةَ جسمك

أتشبث بالجذعِ

وبالسرة
أتعلق فيك كما أتعلق في آخر أعضائي
أتمرغ تحت سماء بفضاءين
وأحلم تحت شمس بسماءين
أداهنُ جسمي بالغيوبة والصلوات
أفارقكم فيها وأفارقها فيكم
هل جسدٌ وطنٌ أسكن فيه أم وطنٌ جسدٌ يسكن في؟
أسرّح خيلي كالرهبانِ
مساءً
كي ترعى في أعشابك
وسماواتك.

فصل

[16]

هذا السهل الجبليّ
الزغبُ الرطب على أرض السرة
والرائحة البيضاء المنتشرة فوق مسارب جسمي
وخلايايَ
وأوردتي
أعشابُ الإبطينِ
يمام البر المتنقل فوق الجسد الجسر...
وتفاح النهدينِ
ورائحة الصندلِ
والعاج المحروق على جسدي المبلولِ
وهذي الأسماك - المتوحشة - الخضراء
الخليجان المملوءة بقناديل البحر
وزهرات البشنيين.

فصل

[17]

ألففُ جسمي بالرغبات المطمورة والآلامِ

وأختبئ وراء الأكمة
كالقط البري المتحفز
عينك الوردُ وزهر الآكام
أشبك وردة جسمك في سترة جسمي
أو أشبك
سترة جسمي في عروة
جسمك
أرفع راياتي المثقوبة بالريح
وبالدعوات
وأعلن عن فرحي
ومسراتي
أطلق آخر صيحاتي حول جزائر بدني المعتم
وسفائن جسدي الغارقة
وأدعوكم
أنفجر رماداً
ويواقيت.

فصل

[18]

لحظتان
وينفلقُ الضوءُ
ثم يعود إلى كوكبٍ من سماءٍ رماديةٍ والشموس به يحتفلن
أساري
الغزالات سابحةً في الفضاء الـ ... الغويط
وهذا هو الركب يأتي بعيداً... يطوف على كل وادٍ
- حتى إذا أتوا على وادي الـ ... قالت.. -
ترى قادها البرقُ
أم دلها النجمُ صوب طرائق من ذهبٍ وحريرٍ؟
قطاف من الورد والقرز
أينع في ركبهن

وزَّيْن لي وحشتي فانتبهتُ
- وطني على طرف قلبي فراشاً كليماً
- وما مسني من لغوب -
وحذرني بالسكوتِ انتبهت... لماذا أنا؟؟ ولماذا أنا؟؟

فصل

[19]

- أنا صاغر كالنيازكِ مغروسة في السديمِ القديم - ابتدأن كما
راقصات الملوكِ
يغنين لي عشقهن ويرقصن حولي فرادى
على خضرة من جنائن قلبي
وفتحن لي بابه فانحدرت
- ادخل الآن هذي الممالك مطوية لخطاك وأنت المليك بها
والملاكُ
استرحت قليلاً على البابِ
أوقدن لي شمسهن
وأوفدن لي نجمةً
مصطفأةً -

فحطت على طرف ثوبي القديمِ
وشقت قميصي
ترى هالها الجرح لما رأته وازدهت بالدماءِ الجوارحِ
شقت قميصي
وخاطت خطاي إلى خطوهن؟!
انفضحتُ إذن
وانكشفت أمام العذارى.
فصل

[20]

يا أنتِ...؟؟
أنا واحدٌ بينكن أسير
ضحكن

وأغرقني في بحيرة ماءٍ أجاج وأخر جنني
ثم أغرقني في بحيرة ماءٍ فراتٍ وغسلني بطيوب الحداثقِ
والأقحوانِ

فنمت

وقلت: ارجعوني إلى أهل بيتي كي يكفلوني
فنادت على جمعهن

وجئن فرادى

وأدنين لي قاعةً من مرايا
أذى لجةً أتخوض فيها؟؟ سأغرقُ
تحلقن حولي

وغنين حتى انتهى وصلهن إلى وصل قلبي.

فصل

[21]

- أنا نائم يا صبايا الجبال الطريداتِ

خلين بيني وبين متاعي القليلِ

- وصحوي -

فأيقظتني من رقادي الطويل وقلبت أمري

وكانت شمسٌ بعرض السماوات والأرض تهبط حولي قريباً

ومرّ يمام كثير

وحط حمامٌ على زهر قلبي

- سنابله يانعاً قطاف -

ونفض عن متنه جمرات الطريقِ

وأوعزت للقمر البض أن يتبعني

فهل أفرخ الآن هذا اليمام الكثير

ومن ذا الذي دله أن ينام على زهر قلبي

وفوق حدائق

جسمي

يقوم؟؟؟

الجسد شيخ الوقت

إلى إكرام عبد الحليم

فصل

صيرورة

[1]

الشمس صائرةً باتجاه السيد الجسد

وأنا صائر باتجاه السيدة الأولى

الأرض

ينصب الجسد خيمته باتجاه الروح وعلى امتداد السمع

والبصر والفؤاد

ويتنصب مثل نافورة

خضراء

وهو قائم يصلي في متاهات أوديته ونشوته

وعلى حواف محبته

كيف أبني هزائمي وأوجاعي على مرأى ومسمع منه

فلا هو يرتقي إلي ولا

أصعد أنا نحوه؟!

فصل

[2]

يتعب البحر من شجر الماء في الليل

فببكر شواطئ النهار

وأتعب من شجر البحر في الليل والنهار فأتبكر كلماتي

وأنكفي على امرأة بعينها

فأكتبها فوق جنتي

وجحيمي

وأقعد تحت شجرة وحيدة فأسظل بها

- في نهار صائف

وفوق صحراء ضارية -

إلى أن يقول السيد الجسد كلماته
حتى أتعب من النظر والسمع
ولا تجيء أو تروح
فلا أعبأ بمن يجيء أو يروح.

فصل

[3]

أمسك بقميص الشمس والريح المضيفة المنطفئة
وأكتب فوق جسد السيدة الأولى الأرض
هنا كانت قيامته الثانية
هنا كانت تحولاته واخضراره
وزمن شروقاته وأفوله
وهنا ابتنى السيد فكرته
وأنا
واقف أرقب تحولات الجسد وانحسار الروح
عن شهوة السيدة الأولى
الأرض...

هل أنا صائر باتجاه السيد الجسد وفتوحاته؟؟

فصل

[4]

ترسم الشمس على جسد الذاكرة امرأة تعدو تحت سماء بيضاء
وليل شاسع بهيم ولا أحد
والمرأة واقفة تحت قرص الشمس
تنسج خوص النخل عرائس من زبد لصبيات يتوافدن على سلم
الذاكرة
عرايا

ناعمات الطرف

ومفتولات الجسد كالحراب
ويخرجن من كل جانب
وعلى جسم كل امرأة منهن وشم

من فراشٍ طائرٍ وقمرٍ محترقٍ والقمر يتسلق فضاء الحكايات
وجثث الذاكرة الهرمة
وفي ليالي الصيف المصقول بالذهب والفضة يأتين
وبنات الحور يصفقن على سعف النخل
ويرتمين كالحيات على جسد الأرض.

فصل

[5]

رغاء يخرج من إبط الشمس كالماسات ولا أحد يراه
سما تنفتح عن أولها وآخرها
فإذا المرأة تعدو
ولا تنكشف إلا لي
وعند رأس كل وردة صغيرة وتويج
تضع قمرًا مضاء
وسماء مخصصةً لشمسٍ مخصصةٍ لا يدخلها إلا أناس
مخصوصون
ولا تنفتح
إلا عندما تشير أو تقوم.

فصل

[6]

جبالٌ شاهقةٌ تقيم صلوات غامضةً في انتظار امرأةٍ تعدو
وما بين كل جبلٍ وجبلٍ
متاهةٌ
ومغارات بأوديةٍ
لرجالٍ ونساءٍ كثيراً ما
يتقاتلون فيما شجر بينهم
عن أي امرأة هي؟!
وعند أي كوكبٍ تقيم
وتحت أي سماءٍ ترقص
ومن أي ذرةٍ تجيء

وعلى أي المهاري تقطع المدن والفيافي
أفي الليل أم في النهار
وما هو لون دابتها وفي أي صدقة تقيم طقوسها
وتخفي أسماء عاشقيها
رغاء يخرج من إبط الشمس كالماسات
وعلى جسد الذاكرة
ترسم الشمس امرأة تعدو.

فصل

[7]

كيف أحتفي بجسد امرأة ما وأصعد سلالها خطوة خطوة
وعلى تضاريس جسدها يكتب الزمن تصورات
وأخطاءه
ويعض أغنياته
إلى أن تحل المرأة - في جسمي - كالباقوتة الخضراء
فأنفض عنها غبش الوقت
ورداءة الطقس
وتصدعات الجسد
إنها الفقد والغياب
وتراجع الزمن عن أخطائه وتخوفاته
كيف تتخطى أيها النهار حواجز الليل
وتتخطى أيها الليل
كوابيس النهار؟

بيتها: سلة من الورد الأبيض
والذهب الإبريز والزمرد الأخضر والأرجوان المدهون بالبن والطريق إلى بيتها
مشكاة غامضة ومداين لا يدخلها إلا إياي سأحتفي بها وحدي
أيها الليل

وبيننا الماء والنار
على قيد ذراع
وما لها من خبز عندي سوى زمردات الروح.

فصل

[8]

آيتان

تخرجان من صدف الوقت

- آيتها الجنة الجحيم والجحيم الجنة

علي من آثارك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت -

سأفتح - لك - الطريق إلى جسمها لترى ما لا يرى

الليل والنهار قبتان

تكشفان

عن صلابة الجسد

وتؤرخان للغاته الكثيرة وحضاراته المزدهرة ومفانته الليلكية المشتبكة

وقمم ثلوجه الغارقة الطافية

الجسد قرارة موجة

وبداية طوفان

وأنا أنتظرها عند بوابة المرايا

هيئوا لها عرشها

واتبعوني

إذن...

فصل

[9]

تهيئي إذن أيتها المرأة لي

واكشفي لي ما خفى من كتابة الليل وكلام النهار

تهيئي إذن واكتبيني

مثلما تكتب الريح أسماءها وشاراتها

على واجهات البيوت وشجر الحيطان ونوافذ الأرقاء وقوائم

الأسرى

إنها المرة الأولى التي أرى فيها امرأة بطعم السماوات والأرض

تعرفها من الرمز بالإشارة

ومن الإشارة

بالرمز
وهي موصوفةٌ لي وأنا موصوف لها
سيل مجازات واستعارات ولا تكاد تُبين...
المرّة الأولى التي أرى الشمس تجري لمستقرّ لها وتقعّد عند قدمي
امرأة ولا تأفل
- القمر لا ينام إلا متبرجاً وثملاً تحت أسرة نومها وفوق أرائكها
ولها عرشٌ بهيَج من الليلك واليوافيت ولها عريشةٌ من
الأرجوان الناعم والحجر الكريم -

وهي غير هيابة مني
ولا - هي - أوبةٌ إليّ.

فصل

[10]

كيف أدّثر بك أيتها المرأة
وأرعى قطعانك اللانهائية
إلى أن تفيح الظلال وينهزم النهار؟!
هأنذا أدّخرج إليك كالياقوتة المنجرحة وعلى منحدراتك أقوم
كالمصلوب فأدعوك إلى جحيمي
وأقول هذه امرأتي رُدّت إليّ وإليها يرجع الأمر كله
هأنذا أكتب على جسدي:
أنت محياي ومماتي
تهيئي إذن أيتها المرأة
وعلمي شهوةَ الحضور والغياب
جسمك قبة غاوية ولها ألف باب
وباب
وأنا أظاير إليك كالفرّاش المبتوث
فلا أخطُ أمامك إلا وأنا جريحٌ أو كالجريح إلى أن أموت وأشهد
قياماتي فيك
وقيامتك فيّ
ولا أدلّ عليك إلا بكلماتك أيتها المرأة المتسرّبة ببقايا دمي

وكلماتي...

فصل

[11]

هل أصطنع لغةً خاصةً لا يشهد مولدها إلا إياي
ولا يفك رموزها سواك أنتِ
أيتها المستحمةُ ببقايا البرقِ
وكلام الأسرةِ
وشقائق النعمةِ
كيف آتى إليك في غسقِ الليلِ
وأصعد نحوك كالتائه الضليلِ
وأهيمُ مفاتيح جسمك بيديّ إلى أن تقوم الروح مترجلة ثملةً
فترجني رجاً
وتوقظني من سباتي العميق لتدخلني في غيابة الجسدِ
وهو ثملٌ وسكرانُ
فلا يقومُ إلا ليقعدَ
ولا يقعدُ إلا ليقومَ.

فصل

[12]

أما من لغةٍ واحدةٍ فأعرف بها مفاتيحك
وأفك رموز كلماتك
وأحصى عدد أوقاتك وفضاءاتك
أيتها المرأة:
كيف أزرع تحت جسمك شجرةً وحيدةً لتكون مقامي؟
وما من طائرٍ يطير إلا وعندها يتوقف ويتذكر حكاية الطوفانِ
هذه
وتحت سقف بيتها ينام نومةً بهيجةً
وثملةً
إلى أن تطلع الشمسُ من المغربِ
فتقول الشمسُ

لمن هذه النجمة المضاء المسترّة؟
ويقول القمرُ:
أيتها الشمسُ
يا مليكةُ
امرأةً بهذا البهاءِ
وتسكن في الأرض؟
أيها الجسد: هل ترثُ شريعةَ الأرض وتقيم نوافذَ النهار؟

فصل

[13]

إنه الجسد..
يفصح عن تأولاته وتنزلاته الليلية وشعائره
فوق بنايات الوقت المثلث بالجنون والحزن
ثانية...

كيف أكتب الجسد
وأدون فوق كثرانه وأراضيه أسمائي وشاراتي هنالك ثمة قارات غارقة
وعلى كل قارة نجمةٌ وحيدةٌ لا تشرق إلا بعد فوات الوقت
وعندما ينحسر الماء أجيء كطوفانٍ
يحمل أعشابه
وتخمراته.

فصل

[14]

هأنذا أطأ حوافّ القارات بخياشيمي
وأمد جسمي
فأرى سفناً ملقاةً...
تحملني إلى ما وراء الجسد وتنزلاته الليلية
وشعائره.
سأحمل في يدي مشكاةً
من حروف طافيةٍ
وخاصةٍ بي

وأضع على رأس كل حرفٍ
هلالاً صغيراً يحمل قرصاً صغيراً من النهار
وكبريت الماء الأحمر
فيتمم بكلماتي إلى أن أعبّر المضيقَ
وأخطى حواجز الجزرِ
وأقيم مناراتي.

موقف الغياب

إلى عزة وهذا اسمها يكفي

فصل

[1]

شجرٌ من الدخان يزهر - أيطلى ظبيٌّ وساقِي نعامٍ -
وأنا أفتش في فضاء الورد عن لغةٍ أضم حروفها
وأكون بين تويجها شمساً
تُعَمِّدُ في فضاء الكونِ
أصعد سلماً في سلم
أكذا سينفجر الرماد المر في حلقي
وتبدأ هذه الأفلاك في الدورانِ
والرقص الفجائي المغبش بالعماء الغفل؟
أدخل غابة اللباب
تفجؤني حروف غوايةٍ في جوف وادي القفرِ
هذي الأرض دائرةٌ
يظل فضاؤها المعمود يظفر بالرمادِ
اقتربنا؟

من يشق الآن في شفتي جناجر وردة سقطت وداستها الأيائلُ
والظباء النافراتُ رمت عليها من ركام الغور
أوردةً
تنز دماً
وتزهر ياسمينٌ؟

فصل

[2]

سماءٌ تنزف الآن...؟!
انفراطُ حجارةٍ مصقولةٍ بالموت
غابةٍ أرجوانٍ ناعمٍ
تلتف حول القلب
مائدةٌ من الزهر المضمخ بالخضار الفدّ يحضرها رعاة الله
سوسنة
تشق جيوبها المحمرة الأحناء
ثم تفك في عز النهار الأبيض المغسول بالربغات مئزرها وتأخذ
في الغناء / الصفو
تنكشف اللآلئ
والنجوم يطفن من خجلٍ فرادى
أو جماعاتٍ
ويغسلن الندى بالعطر
ثم ينمن...
فصل

[3]

هل ستخط من لغةٍ على جسم الكؤوس الخمر أو جسمي
شقائى من لغات النار؟
آخر ما تبقى من شغاف الفستق المغسول في رمل الأهله والنجوم
اطاولت شجراً
ومادت شمسنا بالأخضر المغسول في زبدٍ
من الزبد النديف البحر
هذا البحر ينزفني رذاذاً أبيض الأمطار
يغسلني من القدمين حتي القلب
أمسح فضة العينين بالإبحار
نهر
غارق

ما بين ملح الأرض والتوتياء.

فصل

[4]

أحفر...

سوف تنفجر الشرايين الخبيثة في دمي
هذا أوار حدائق مصفودة بالنار أدخلها تصفق قاصرات الطرف
من يصطف الآن في لغتي ويخرج من دما الجناح والأنهار؟
بين حروفها والعشق قائمة من القتلى
حدائق من بحار الدم
تزهو عاشقين
النار تعرف أنها لغة مصفاة
وأوردة وقديسون
ترتيلات موجودين في قيظ الصحارى الشاسع الأطراف
والمأهول بالنسيان
والإضم.

فصل

[5]

وها أورادها اكتملت أنوثتها وصار لاسمها زبد كموج البحر
أفراس تطارد ظلها في الليل
ثم تخب في الرقص البهيج إلى أن تبلغ الأعراف طائفة وبين
سمائها والأرض جناح
وأنهار
وهذا الطير منجذب إليها قدر طاقته أدخل؟
هذه الحجرات من خرز ومن حبات رمان ومرجان وعاج طيع
الشفرات
أدخل...
من سمك هذا الاسم
أعطاك البهاء الفذ
والروغان

كنت أظنك امرأةً من الآس المكسر واللبان المر والشجر العتيق
تشد في يدها خيوطَ الفجر
بين عينيها نجوماتٌ وبحر شاسع الأعراف
منفجرٌ بأشلاء النجوم.

فصل

[6]

الكلام الذي للجسد..
علامتان للجسد
ورملتان تضويان للأبد
واستيقظ النهار بغتةً
يرش ضوءه المبلل الصقيل في مفارق الجبال والنساء والبيوت
كلما

هممت باقتفائه
أموت قرب شهوة الجسد
أموتُ
قرب شهوة الجسد.

فصل

[7]

تواطؤ..
أعرف أن ذاكرةً لهذا البحر
أوراقًا ستنبت من دمي مثل اليمام الحلو والزهرات
أوراقًا

ستورق في دمي كحمامة بيضاء
وأعرف أنك الأنثى التي اشتعلت أنوثتها أمام الله
فاختارت طريق الأرض للفنانين
كيف هبطت نحو الأرض أيتها الصبية
كيف خاطبك الذين رأوك خارجةً لأول وهلة
كالنطفة البيضاء ذاهلةً
وشاردةً إلينا نحن أهل الأرض؟؟

أعرف أن أقماراً ستولد من دمي
وأن نجمتك الصغيرة سوف ترسل من أشعتها إلى قلبي بطاقة
عاشقين
وسوف ترسم فوق خرائطي بيتاً ولؤلؤة
سأسكنها
وأروقة يداهم خبزها الفقراء مثلي.
فصل

[8]

أعرف أنك الأنثى التي خرجت تداهمني أمام الله
يا الله

كيف استنفرت عيناك ذاكرتي
وراحت تغزوان مناطق الموت / الجليد
بداخل القلب المسجى بين أوردة الرصاص
وكتلة الطين المسمى بالجسد؟
ألهذه الأشياء ذاكرة
كذاكرتي؟

أم أنها الشمس الصغيرة
سوف تشرق فوق أغوار الزبد؟

فصل

[9]

كانت الأرض قاتمةً
والسماء سهولاً من البرق والرعد
والناس من فرّق يهجعرون البيوت ويستدفئون من الوقت

بالعشب

والجمرات

ويتخذون من النوم طاولةً لاحتراف الغواية

بالموت

قلت:

أهجرهم وأبعد بيني وسوءاتهم

كانت الأرض خاويةً
غير أن دمي كان يعبرها كشريطٍ من الحزن أسودَ
والبسطاء
يصرون مثلي على الفقد والروغان
وينسربون كآنيةٍ من دماءٍ وماءٍ ...
أكلهم
يلجؤون إليّ
ويسترجعون عذاباتهم
فوق جسمي الكليل الكليم
وكنت أنا الشاهدُ الميتُ الآن في هوةٍ أتحدّرُ نحو متاهاتهم وأفارق
جسمي الكليل الكليم أبارك راياتهم
ثم أغرس في حبة القلب أشجارهم.

فصل

[10]

هجرة..

في الصباح

تغادر مملكة الطير والكائنات مواطنها
وتفتش عن حلمٍ ناصعٍ ومواردٍ أخرى من الـ... رزقٍ
والفيضانِ

من الماء والظل

تهجر بهجتها في الليالي الدفئيات
كي تتلفع بالبرد والرغبات الأثيمة والحب
تلتف حول شقائقها اليرقات

ويتنشر الناس في الأرضِ جوايين

هيايين

وفي الفجر

يهجر كل السكاري مواجدهم ومسرات أوجاعهم
ثم تبدأ في الطفو والروغان
وترتج في الردهات القصية من غرف القلب بعضُ احتراقاتهم

أيهم يبدأ الآن نوبته في التذكر والصحو
أنا أم دمي؟
أيهم يترجل في حلمي ويفرق بين دمي وحدائق جسمي؟
أيهم يتأهب للصفو والسفر المر؟
حين نحزم أوجاعنا ثم ننسى حقائب أحلامنا
في زمان التسكع والقهر
هل حان وقت السفر؟؟

فصل

[11]

طراد..

يبدأ الجسدان مساءهما باحتفالٍ مهيبٍ من الرقص
والروغان
وينحدران إلى هوةٍ
من سماء زجاجيةٍ وطيورٍ
ثم ينقبضان وينبسطان كلؤلؤةٍ تتدحرج في آخر القاع والليل
والتويجات كاسيةٍ عري جسميهما في سكونٍ شفيفٍ أليفٍ
كان برقٌ
وكانت سماء رماديةٍ وشموسٌ
وبحرٌ من البوص والعاج
هل تتخوض فيه الأهلة واللجج النجم؟
والسمك الأبيض المتوحش يرقد في سندس القاع مختبئاً عن
ملامسة القاع
والدوران على ساحل من زبدٍ
والجسدان الأليفان يغوصان حول بعضهما ثم ينحدران
وينعقدان
كمئذنةٍ تشرئب على لجة الماء
كان طير يرفرف في آخر القاع والسفح منفلتاً من هبوب الرياح
ومنطلقاً في فضاء الحديقة
مصاعداً للأبد..

فصل

[12]

مداومة..

كرائحة الزهراء الصغيرة والعشب أذكر وجهك
أنت الخضراء المجلوة كيما مات الدغل وعصفور الماء فكيف
ألاقيك؟

من أيقظ الطفل هذا البريء المشاكس قرب النهرات في غسق

الليل

أطلق للبرعم المتشبث بالجذر نشوته فاستوى
ثم مال على سوقه فانحنى للرياح اللواقح من كل صوب
وخضبت الشمس أطرافه بالنجوم القصية والطل
أشرك فيك الذين أحبك قبلي فأفرح
أسمع وقع خطاك فيهتز جسمي
أنت البيضاء الحلوة والمجلوة
هذا دمي يتشابه فيك أهمل
(هل - لي - لو - يا)
(هل - لي - لو - يا)

وأعرف أنك مثل البحيرات والجرح قادمة من عصور خلت
فادخليني إلى جنة عرضها السماوات والأرض ثم اصطفيني
وكوني

إذا أقبل الليل محبوبتي و يقيني وقرّي

سلام عليك.

فصل

[13]

استرحت قليلاً

وها أنت ذي تصرفين الرياح اللواقح
أو تركيبين المهارى السلالات تركض كالطير في كل وادٍ
سحاب كثير يمر عليك
يلل رجليك بالماء والبرق

والأرضُ
صاغرةٌ بانتظارك..

فصل

[14]

حال القبض على الجمر..
أتقلب على حمأ من النيران والصحو
وأمسك بجذر شجرة الموت العتيقة وأهزها فرعاً فرعاً وورقةً
ورقةً..

فيساقط الرماد حمماً على عيني
وتأخذني براءة الحلم والطفولة المترعة العابثة
وأنزع عن عيني حدقاتها الفسفورية الغامضة فأبصر
وأرى:

أجنةً تخرج من بيوت أمهاتها
وهى في الأرحام مخبوءة وغير آمنة فيهلك الحرث والنسلُ
الشموس كراتٌ من الدم
ملفوفةٌ

في غلائل السماوات والأرضِ
من فرقٍ تتشظى لهيباً أبيض الدوابات
وتنتشر في كل واد يهيمن فيه وفيه يسبحون بنعمةٍ منها
ومتاعٍ إلى حين.

فصل

[15]

كتبت على جسمي العذاب
وكتبْتُ على جسمك الرحمةَ
وكنت أقول للوردة
أنت جزءٌ منها
وللشمس أنتِ هي
وللقمر هل قدرناه منازل حتي عاد كالعرجون القديم
ليسكن في آخر برجٍ من أبراجها المضيئة المنطفئة المنتشرة فوق

حدائق الألوان
وفي قبة من قباب الروح الغامضة
الهاربة؟

فصل

[16]

لماذا إذن تهجريني وتفرقين بيني وبينك وأنا كشجرة
السنديان العتيقة
فيك محياتي ومماتي
وكنت أقول
أنت لي

فتهجر - هي - بهاء الجسم وتغادر دوائر الإمكان والقوة
لتسقط في دوامة العشق والقطيعة
هل لها من عشيق بهذي المدينة
لتهجرني من أجل فضائه
وشجرات محبتها الغضة الصغيرة محبوبة لي
وساكنة في إلى أن أموت؟؟
ولماذا أشق على نفسي من الحزن - إذن -
وأنا أحج إليها آناء الليل
وأطراف النهار؟
تسرقين مني شجرة الحلم
فتورق في زهرة المحبة.

فصل

[17]

آتيك مسرعاً وجامحاً
والرغبة فيك يمام يتقاذز فرحاً وأنت تعرضين عني
وتبطينين
أطلق نحوك فراشة الجسد الخضراء
وسلالاتها التي لا تعدّ

فتغلّقين دونك الأبواب
كيف أنفذ إليك والمسالك وعرةً والطريق موحش والجبال
ذؤاباتها من دماءٍ ونارٍ؟!
هل من لجةٍ أتخوض فيها وحراسك كثيرون
ولا حول لي
أو قوة...
هل نهاية المودة موتٌ
وبداية المحبة
معرفة؟

إذن اشرحي لي كيف أفرق بين الموتين
كيف أفرق بينك وتلك التي لا أعرف منها سوى بيتها؟
كنت أخط على جسمي حروف جسمك المشتعلة
وأهش عليك بكلماتي
آه

أنت لي
أيتها السيدة الأثمة القلب.

فصل

[18]

الغيوم الغائبة تغيب عن عيني وأنا أنظر إليك
وأبارك فيك المسرة
وفي العالم رغبة الحنو والمحبة
فهل تجددين في بقية الأضداد وتناسل الأمم من قبل ومن بعد؟!
آه...

يا سيدة الزهر والسماء اللازوردية
والنجوم العالقات المنطفئات بآخر القاع والليل
هذا جسدي
يتشوق إلى جسديك

وملايين النساء غيرك لا يغنون...!!

فصل

[19]

أنت واحدة وأنا أول العاشقين
وآخر الذين يفنون ويسعون إليك رغم حمم الألم وبلوى الصبر
والوجد
هل تشرقين عليّ وأنا مشرف على الغرق والغيبة أم
تتلفعين ببرنسك الصوف
وحولك الغرقى وأبناء السبيل من كل فج يأتون إليك
ويلتفون بك
وبك يعرفون أول الصبح من نهاية الليل
ويطوفون حولك
فيسبحون باسمك
ويجعلون من دمهم بخور المودة وبداية الاتصال والمعرفة
أم أنك في الوقت الذي ستشرقين فيه ستطردينهم فينتشرون على الطرقات
كجدوع نخل خاوية
ويسألون عنك كل سائر وعابر
أين الطريقُ إلى حيث يسكن النور؟
فصل

[20]

شجري يسأل عنك كل عابر وواقف
وأنا أسأل عنك كل شاهدٍ وعارفٍ
ودمي يسأل عنك كل حاضرٍ وغائبٍ
فأين هي حدودُ المتاهة من حدّ الرؤيا والمشاهدة
وأنت أول القبيلة وآخر القباء
وهمو من حولك جدث ونشور؟ قلت: أسأل عنك من رآك ومن
لم يرك
وأسأل عنك قطرة الماء وطحلب البحر والغيم

وفلذة الأكباد والأحشاء وجنيات البر والبحر
وعرائس الحلم وحنوط الموتى
وكواكب الزهرة والشعري وأتبع خطاك إلى أدنى الأرض
فما دلني أحد - منهم - عليك
وأنت أقرب إليّ من حبل الوريد وتسكنين قاع العين ولكني لا أكاد
أبصركِ

بين حشائش القلب وشجره الكثيف الملتفّ
وما دلني أحد - منهم - عليك إلا دابة الأرض وهي تأكل منسأتي
مرهبة أنت يا حبيتي
كجيش بالوية
ودروع.
فصل
[21]

تخرجين إليّ من الحلم
وأخرج إليك من فضاء الذاكرة والعيان
وتكتبينني ورقة خضراء فوق منازل القبيلة والشمس
واكتبك علامة على الموت والقيامة
فكيف أفرغ إليك وأنا
لَمَّا أزل أبحث عنك على شواهد الموتى وحدقات الأحياء
وبين حروف كتبهم الفارغة
وتمائيلهم المعجونة بفجيعتهم فيك وخوفهم عليك وتمائمهم
وصلواتهم خير شاهد على ما أقول
فرغ الصبر إلا منك ولم أعد بحاجة إلا إليك أيتها
الشاهدة الغائبة القوامة اللوامة
متى تكشفين عن نقابك لي؟
فسوف آتيك سعيًا
ومن حولي كثير من الناس والخلق يشهدون.

فصل

[22]

بك أفرح وإليك يكون تمام حلمي ووصلني
وأنتِ على ما أقول شهيدة
كيف تمرُّ طيورك عليّ
وهي مختلفة الألوان والشرائع
ولا تسألني هل بك حاجة إليّ فلا أقول لهم
إلا أن تتوقف عند منازل الرحمة وشواهد المعرفة وأن تأخذ
قبضةً بيمينها
وترش على قلبي بعضاً من طعام الرحمة ومسك الخلاص
لترد إليّ بقية من ظمأ الروح وعصف الخواطر
والقلب عندئذ يتصايب
فتميد الأرض وتندك الجبال دكاً
هل أنتِ لي مثلما أنت للماء والأرض؟!
ماذا أقول للأصحاب أيتها السيدة
وأين هو وصلك الذي به تعدين؟!

فصل

[23]

هل أقول لهم:
إنني خارجٌ من دهشة الموت وأنت خارجةٌ من براءة الحلم
وحانات الطفولة
المزدهية بنفسها؟
أم أقول لهم
نسيّني على شجرة المعرفة وحيداً كطير أخرس وأعمى
فلا هي تبصر ولا هم يسمعون!!
شهد الخلق أنه لا امرأة غاوية غازية إلا أنتِ
ولا جمال إلا وبه قبضة من جمالك

أراني أنظر إليك
أرضك ملغومةً بالنعمة وأرضي عطشى إلى الماء
فكيف لا تفرطين أرضك على سمائي فيتم الفرح ويحدث السرور
وتزدهر حدائق الرمان والزيتون والأعناب والنخيل
ولا يتبقى لنا من العتاب شيء
لنتوب إليه؟!

فصل

[24]

كشفتُ عنك غطاءك فإذا أنت غاويةٌ وإذا أنا شيطانُ
وكتبت على جسمك حرفين اثنين
فاشتبكت بقيّة الحروف وانكسر الألف على الياء وانتهزتُ
فرصةَ المشاجرة
فانسَلْتُ من بين غابةِ الدماءِ
فإذا أنا هالك إلا وجهك وأنت كما أنت من كل غاشيةٍ
تخرجين

ظافرةٌ

وتطلبين كلّ عاشقٍ جديدٍ
ساء من يحكمون عليك بالقطيعَةِ والهجرِ
وساء من يحكمون عليّ بالجنون...؟!

فصل

[25]

قلت:

أخرج إلى الصبح وقناطيرِ الريحِ المقنطرةِ
والليلِ الراجفِ الكليمِ
... لعلّي آتيكم منها بقبسٍ
فما وجدت غير شجرتي لوزٍ
تقفان وحيدتين في الفراغ وتحكي إحداهما الأخرى

أيتنا يزهر قبل مواسم القحطِ
والجفافِ؟
فتبسّمت ضاحكاً من قولها وقلت:
من يدلني على شجرة الخلدِ وملكٍ لا يبلى؟

فصل

[26]

فكان أن كنتِ واقفةً
كزهرةٍ
بريةٍ
وحيدةٍ
بين صحراء العالم المتوحشة ومدنه التي لا تنسى

تنادين عليّ
وتمسكين بقميصي

المبلول
بالخوفِ

والفزعِ
وأنت آمنةٌ وجميلةٌ.

فصل

[27]

ونظرت فإذا أنت قدّامي

وورائي

وخلفي

وعن يميني وشمالي

وتسكنين قاع عيني

ونظرتُ فإذا أنت الشجرُ والماءُ والجبالُ والوديانُ

والجناتُ

والأنهارُ

ونظرت:

فإذا أنتِ كل شيء
ومن وراء كل شيء!!

فصل

[28]

هل يدلها أحد عليّ
وأنا واقفٌ على جبلٍ عالٍ من النار أتفصد عرقاً وأتصبب دماً
غزيراً

أنت حمامة بيضاء

- بجناحين مشتعلين -

وحممت حولي وعلت علواً كبيراً وفي منقارها غصن من
الزيتون

يقطر براءة وحلماً

والريح تتعجلها أن تباعد عني
وفي كل مرة تهبط على رأسي وتأخذ بيميني وأنا منجردٌ

وساهم سهوم الموتى

وأطفال الحلم

فقلت:

هل أدلك عليها؟

قلت: رحمةً بنا ومتاعاً

إلى حينٍ...!!

فصل

[29]

مرهبةٌ أنت يا حبيبتى كجيشٍ بألويةٍ ودروع
تخرجين من توقد الذاكرة وارتطام الأفلاك بالأفلاك وعند

مصببات الأنهار

تخرجين غزاةً ظافرةً

تحل ضفائرها المستشزرات على حمم من جحيمي الحميم
وتعدُّ عشاقها بجسمها الأبيض المغسولِ

باللبن

وتتوعد من يحاول الإمساك بها

والاقتراب منها

بحوافرها التي تطق شرراً

وحتفًا.

فصل

[30]

على جسمك المغسول باللبن الأبيض يكتب العالم أخطاءه

وتبدين عشقك لعشاقك ومجانينك

فتنتسبُ الشمس إليك والقمر يواصل تصوراتهِ وتخيالاته

وعلى جسدي تكون زلزلةُ القيامة ورجفةُ الموت وعمق الفجيرة

وجنون التوق والانعقاد

أكتبك شجرةً مزدهرةً فتكتبيني ورقةً ساقطةً أتقرب إليك

شبراً فتبعدين عني باعاً

وأقرب إليك باعاً فتبعدين عني سنواتٍ وفراسخ

وكلما آتيك بالصحو والصفو

تشبكيني في قميص الريح المتناثرة شظايا وأشلاء في سموات

لا أول لها ولا آخر

أعدك بالعشق والمودة

فتعديني بالقطيعة والموت

قلت: أكون حكيمًا أما هي فبعيدة...!!

فصل

[31]

لماذا تتحلون بأساور من ذهبٍ ودمي

حول رقبتكنَّ وصدوركنَّ وخصوركُنَّ وخدودكنَّ أبيضُ وأخضرُ

وأحمرُ

وعلى كل لونٍ
وأنتن تقمن بيني وبين حبيباتي
سراقات الألم
وسواحل الذكرى
فعلى أي جانبك تميل أيها السيدُ وهي من أمامك الرحمةُ ومن خلفك
العذابُ
والتهلكةُ
لم أنم
وملء عيني محبةً
ولم أقم
ولها عيان وشهودُ.
فصل

[32]

قصدتُ إلى البابِ
فمنعني الحرسُ الطائف في المدينة وقصدت إلى القصر
فمنعني الحرس الطائف بالباب فماذا أفعل
ولم يتبق لدي من الزاد سوى الوجع وعصارة الأحداق أعجن بها
جمارة الروح
وأخبز قطميري على نار قلبي لعلني
أسد بها رمقي يوماً أو بعض يومٍ
وهأنذا مغشي عليّ
يرجمني الصغارُ بالحجارة والأطفالُ يضحكون مني فلا أبالي
كدت أياأس وما وصلت
أجدل من ضفيرة السماوات سلماً
وأرتقي إليك درج الصلواتِ
هل أجدك عند قبة السماء؟
أي نار تكونين أيتها السيدة فنعرف كيف نتقيك
أو نحتمي بك منك؟!

فصل

[33]

وها هو ذا الطريقُ إليك حاسم وقائظ ولا من يدلنا عليك أو يصفك
فتتوسل إليك مرةً بعد مرةٍ ...
وصرةٌ خبزي سرقها اللصوص ... ها هو
الظلام حالكٌ وهالكٌ
وما من نجمةٍ تبزغ أو تلوح في الأفقِ
فتتفادى المسالك الوعرة
والشعاب الضيقة الحرجة المحروسة بالوحوش والصقور
وليس لنا من رفيقٍ في هذه الرحلة الشاقة
سوى قطرات الدم المتسرب
على أطراف الصخورِ
وقمم الجبالِ
وأنتِ
أين هي مكانك فنصعد إليك.

فصل

[34]

هدأ الليل
وما من نائمةٍ أو دابةٍ إلا وتأتي إليّ وتسالني وأنا قاعدٌ في مكاني
- إلى أن تقوم الساعة -
وفيك يختصمون
أرني أنظر إليك
ألم أقل لك: مرهبةٌ أنت يا حبيبتى كجيشٍ بالويةٍ
ودروع؟
أزرعك على بابي نجمةً
فتزعيني شجرة صبار على شواهد الموتى
وآتيك بالمودّة
فتصرين لي الألم والإثم

وأنحت اسمك على كل خلية من خلايا جسمي
فتمحيتني من الذاكرة
والحضور
أليس لديك غير الغياب؟!

فصل

[35]

قلت:

أهجرهم وأتوبُ إليك
فإذا بهم يتشبثون بخرقي البالية وأسمالي الرثة
وسراويلي
الباردة
الجافة

ويتعلقون بقمصاني المحبوكة على دمي

وخرابي

غارقُ أنا لا محالة

أما من عاشقٍ واحدٍ فنسأله...؟؟

ومن بين أيديهم وأرجلهم تخرج النار كالمهل

فعلام تتعجبون يا أصحاب المواقيت

والناسِ؟!

فصل

[36]

ها هي تأتي كجرح يمشي على قدمين

فتسبقها الريحُ

وهأنذا قد جمعت لها الشمس والقمر فكانا رفيقي جسدٍ

أما الأرضُ

فكانت بساطاً من الماء الأخضر يُفرد ويطوى كل حينٍ بإذنِها

والناس يخرجون لتحتيتها من أكوأخهم الصغيرة

ويبوتهم الرطبة الواطئة

الجافة

فعلام تتعجبون ولا تبكون وأنتم سامدون
كالخشبِ المسندِ
والجدرانِ المتهالكةِ على نفسها...؟!

فصل

[37]

من يعصمني من الجنون فأحمل له الهدايا وأقدم له القرايينَ
وأكون أحد عبيده الموثوقين؟
قلت لها: أنت راحمةٌ وسحبتُ فوقِي غطائي ونمتُ
فإذا بي مصلوبٌ على جذوعِ النخلِ وفي مداخلِ البيوتِ والطرقِ
القديمةِ

والشمس تزور عني
فتقلّبي ذات اليمين وذات الشمال
والقمر لا يتهياً إلالي
والقصور زينت أبوابها وفُتحتُ وأنا في الفراغ أتلوى من الألم

والجوع

أراني:

أحمل فوق رأسي خبزاً تأكلُ الطيرُ منه
أراني:

في حدقات العيون منبوذاً وبه تقيحات
وفي كل وقت أعرف حرسك وعبيدك وجواريك بسيماهم

وهم يعرفونني بجنوني
ومتاهات روعي الضالة وقلبي الأثيم
من يدلني عليها أو يدلها عليّ
فأعمل لديه أجيراً؟!

فصل

[38]

وسمعت صوتاً يقول لي:

كسفينة غارقة
- على القاع -
تظل هكذا أبد الدهر
كشجرة زيتون
طرحها ناضج وغير حامض
ولكن لا تجد من يأكله
كظلة أنت
فرعها ثابت وأصلها في السماء
وهي تسير تحت حائط الشمس
والقمر الصافي
وتظل تبحث عن مثال
أما أنت فلا تنظر إليك.
فصل

[39]

غناك في نفسك فلا تبتئس وكن للمحبة بيتاً
من يسكن إلى جوارك وأنت غائب
ومن يسكن فيك وأنت غائب
هل يكون الغياب سمةً من سمات حضورك؟!
فصل

[40]

بيت من هذا الذي تدخله فلا تسلم على أهله وتقول
امكثوا...!!

من أين خرج حبيبي وما هو ميعاده؟!
فلا يكلموك فيما شجرَ بينهم وأنت عاتبٌ وغاضبٌ؟!
فصل

[41]

أكذا ستزرع الرماد في كل واد وتبني سفينة من الحسك
والشوك لتجوب بها البحار والآفاق؟

من يكون هذا الذي عَلمَهُ فوق رأسي محبة وشمسه على صدري
مودة وشعره يميني
ويده شجرة حنطةٍ وحدائق زيتون ورماني وكلما قطفنا من ثمره شيئاً
نقول هل من
مزيد؟؟

فصل

[42]

دخلت إلى بيت الخمرِ وقلت للساقي:
أريد خمرأً
فدلني عليك
وأخذت أشرب حتى مطلع الفجرِ
ولمّا أرتوي بعدُ
فقلت:

يا ساقِي...!!
أنت مجنونٌ وأنا ثَمَلٌ
فمن ذا الذي يقودنا إلى المنزلِ؟؟
فتبسم ضاحكاً من قلبي
وأشار لي عليك.

فصل

[43]

قلت: ابن لي بيتاً أدخله وقتما أشاء وأخرج منه وقتما أشاء
وليس لي عليه من حرس ولا له من جدرانٍ وبه يحل فرحي
الداخل إليه كالخارج
والخارج منه كالداخل
وليس بيننا سوى الهواء أنسجه قطيفة لجسدها وأعروش به عليها
وأسقيها بيدي وأسمع لكلامها ولا يحجبني عنها...
إنس ولا جانٌ
ولا تلهيني عنها صلاةٌ ولا فلاةٌ

فتركني الخمار وغلَّق باب الحانة عليّ
فقلت:

من يدلني على شجرة الخلد وملك لا يبلى...؟!
فصل

[44]

واصطف الناس في الشوارع
وأنت أمم من كل فج
ليشهدوا عرس حبيبي...!!
أما أنا
فكنت أطرقع الهواء وأخصّف عريي من الشمس
بالماء

وأدحرج الأرض بقدمي
وأدحرج على بقع الثلج الجهنمية
وأصرخ فيهم كالمجنون:
ابعدوا عني يا جميع فاعلي الإثم...!!
ابعدوا عني يا جميع فاعلي الإثم...!!
فصل

[45]

وسمعت صوتاً يقول لي:
تشبث بالهواء واكتب على كل فرسخٍ من فرائخ الأرض
اسمها
وأسماء عشاقها
ولا تتعجب...!!

فتلك سنة أمم قد خلت من قبلُ
وإنما عليك أن تتبع الأثر والخبر في كل بيتٍ تحل فيه
وكل عينٍ ترد إليها
وكل نجمة تضيء أو تنطفئ
إنما هي من نجومها التي لا تعدُّ

ولا تبح بسرّك لأحدٍ
فتهجرك سنين عدداً
إلا ما شاء لها اسمها وأرادت المشيئة فحزمت أمري وكتمت

سري
ولم أبج به إلا لنفسي.
فصل

[46]

ووجدتُ دخاناً كثيراً
وظلمةً
هالكةً
حالكةً

فقلت: ما هذا؟؟

فقل لي:
طقسٌ من طقوسها
وعلامَةٌ على الغضب والشماتة
فقلت:

أصلي لها ركعتين متى ترضى...!!

فصل

[47]

أنتِ واحدة وأنا وحيد وليس مثلك شيء

ولي
على كل حجرٍ دمةٌ مشتعلةٌ ووجهٌ
ولي

في كل بيتٍ مثالٌ

وبين كل لحظةٍ وأخرى تخرجين على أجنة الحلم بعدد الحصى

والنجوم
وفيهما من كل
زوجين اثنين ولا أبالي

وهأنذا... أصنع من جسدي خميرةً لجسدك وبرتقالةً بلا مثالي
ومن دمي أيقونةً وسواراً لمعصمك وأقول للريح:

هذا هو حبيبي

فتحملك كالفلك وتسري بك إلى حيث تشائين

وللشمس: هذه هي امرأتي

فتحنو عليك وتظللوك إلى حيث تذهبين

فماذا أصنع وقد استنفدت كل حيلة لي

ضعف الطالب والمطلوب.

فصل

[48]

أهتف:

يا فضة النهارِ ويا زبد البحر

يا شرقة السماءِ

والأرضِ

يا سواقي الألم

ويا أشجار التوت

والنخل

من رأى منكم وجه حبيبي

فيدلني عليه

قد شغفني حباً

ولم أتخلص بعد من إسهاره وأسرهِ.

فصل

[49]

إنها الموجُ

والزبد...

الحقيقةُ

ونقيضها

النهارُ

والفضاءُ
وثقُبُ الإبرة..

فصل

[50]

حين يبقى الحجرُ صديقاً لي
والحيواناتُ الكاسرةُ

أنيسي

ماذا أفعل؟؟

غير أن أعبر السماء من أيّما جهةٍ ومن كل جهةٍ

والأرضَ

أدحوها كرةً

وبالونة

توشك أن تنفجرَ

وأسوى من الطين كائنات

أخرى

غريبة عليّ.

فصل

[51]

أصنع شمساً وهالين

لامرأةٍ

لا تفيق إلا بغتةً وتعود لسيرتها الأولى ولا تليق إلا بي

هل قابض أنا على الماء

والنارِ

في آن واحدٍ

فأعجن الروح في خميرة الروح

والزمن

ألبسه خرقةً

باليةً

وأدور به في الطرقات كالضالين
إلى أن تنهزم الظلالُ
ويفيح النهارُ
وأراكِ
آتيةً
ومشرقةً
كجيش بالويةٍ
أتدلى إليك فامسكيني
لئلا أقع في الهاوية...!!
فصل

[52]

أجيتك مليئاً بالإثم فتحملين إليّ البراءة ومعفرأ بالترابِ
فتمسحين عني الأوساخَ
فكيف يكون لمثلي أن ينظر إليك...؟؟
أشهد على نفسي بالمحبةِ وعليك بالقطيعةِ والهجرِ
أشهد على نفسي بالقربِ وعليك بالبعدِ
أشهد على نفسي بالأسرِ
وعليك بالحريةِ
أشهد على نفسي بالرجسِ وعليك بالطهرِ
أشهد على نفسي بالغيبِ وعليك بالوجودِ
أشهد على نفسي بالغيابِ وعليك بالحضورِ
فهل بعدُ ثم شهادةٌ؟؟
فصل

[53]

أبعثر الهواءَ بالهواءِ
وأخيط اسمكِ
باسمي
كاف

ها...

يا...

عين

صا...

فلماذا تكتبيني في حرف الياءِ

وأكتبك في حرف الألفِ

والمدِّ؟!

وآتيك هرولةً

ولا تأتين إليّ سعيًّا؟!

كيف أصفو إلى الحلم

وأصف لك الرحلةَ

والبهارُ التي بيننا ضاريةٌ؟!

والمراكب التي تحملني مليئةً بالريحِ والشراعاتِ ملائنةً بالثقوبِ

آه...

ليس من طريقِ

سوى الغرقِ والغيابِ...!!